جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

# مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

---

إعداد الطالب:

منيرة برجي

يوم: 10/10/2020

# فلسفة التسامح عند فولتير

---

**لجنة المناقشة:**

| | | | |
|---|---|---|---|
| جمال الدين بن سليمان | أ. مح أ | محمد خيضر بسكرة | مناقشا ومقررا |
| كشكار فتح الله | أ. مح ب | محمد حيضر بسكرة | رئيسا |
| زيان محمد | أ. مح ب | محمد حيضر بسكرة | مناقشا |

السنة الجامعية : 2019 - 2020

# إهداء

*أهدي تخرجي*
*إلى من جرع الكأس فارغاً*
*ليسقيني قطرة حب إلى من حصد*
*الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم*
*ملاكي الحارس أمي، وبطل طفولتي*
*أبي، وروح أخي الطاهرة سالم.*

# شكر و عرفان

*الحمد الله السميع العليم ذي العزة والفضل العظيم والصلاة والسلام على المصطفى الهادي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومصداقا لقوله تعالى:" ولئن شكرتم لأزيدنكم" أشكر الله العلي القدير الذي أنار دربي وأمدّني بالقوة والصبر والعزيمة على إتمام هذا البحث.*

*وإن من واجبي ودواعي سروري أن أتقدم بجميل الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي والمشرف على مذكرتي الدكتور بن سليمان جمال الدين، والذي كان دائم الحرص على تقديم النصائح والإرشادات وتصويب الأخطاء.*

*لكم مني كل التقدير والشكر بعدد قطرات المطر ونقائها إلى إخوتي وأهلي الأحباء وإلى توأم عمري بن عمار مريم ورفيقتا قلبي قايدي الروميصاء وبن رابح روميسة،وإلى زوجي بوعبد الله نبيل، وكذا الشخصية الملهمة التي أعطتني اسم فتاة القمر بكل قوة وثبات، وكذا أستاذي محمد لمين الذي كان سندا لي طيلة هذا البحث، وإلى قدوتي وسندي خالتي بن براهيم صفية.*

*والشكر والتقدير لكل من ساعدني ولو بحرف في هذا البحث.*

# فهرس المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **الواجهة** | |
| **الإهداء** | |
| **الشكر والعرفان** | |
| **المقدمة** | أ-ب-ج |
| **الفصل الأول: تاريخية مفهوم التسامح** | 5-25 |
| **تمهيد** | 5 |
| **المبحث الأول: التطور الفكري لفولتير** | 6-11 |
| 1- حياته | 06 |
| 2- المصادر الفكرية لفلسفة فولتير | 08 |
| 3- أهم مؤلفاته | 11 |
| **المبحث الثاني: مفهوم التسامح وتاريخيته** | 14-25 |
| 1-مفهوم التسامح | 14 |
| أ- لغة | 14 |
| ب-اصطلاحا | 14 |
| 2-تاريخية مصطلح التسامح | 17 |
| أ- الحضارات الشرقية | 17 |
| ب-الفلسفة اليونانية | 19 |
| ج- العصور وسطى (المسيحية الإسلامية) | 22 |
| د- العصر الحديث | 25 |
| الفصل الثاني: تبلور مفهوم التسامح عند فولتير | 29-47 |
| تمهيد | 29 |
| **المبحث الأول: فولتير ومحاربة التعصب والإكراه في دين** | 30 |
| **المبحث الثاني: تطور فكرة التسامح عند فولتير** | 36 |

| | |
|---|---|
| **المبحث الثالث: التسامح الكوني لفولتير** | 47 |
| الفصل الثالث: تداعيات وآفاق فكرة التسامح عند فولتير | 67-53 |
| تمهيد | 53 |
| **المبحث الاول: الجانب الديني** | 54 |
| **المبحث الثاني: الجانب السياسي** | 57 |
| **المبحث الثالث: أثر فكرة التسامح لفولتير على رواد النهضة العربية** | 63 |
| 1-رفاعة الطهطاوي | 64 |
| 2-فرح أنطون | 67 |
| **الخاتمة** | 75-72 |
| **قائمة المصادر والمراجع** | 82-77 |
| **الملخص** | |

# مقدمة

**مقدّمة:**

تخضـع المجتمعـات البشـريّة للعديـد مـن الضـوابط التـي تهـدف لتسـيير وتنظـيم العلاقـات الإجتماعيّـة، المتميّـزة بالإختلافـات القوميّـة والعرقيّـة والدّينيّـة وغيرهـا، وغالبًـا مـا يكـون هـذا التّباين أحد أبرز العوامل الرئيسيّة الّتي تقحم البشريّة في صراعات جدّ محتدمة، كالصّراعات التي عرفتها القارة الأوروبيّة في أواخر القرون الوسطى إلى غاية نهاية العصر الحديث، وفي هذه الفترة كان الدّين محور ذلك الصراع الطويل والعنيف.

في ظلّ هذه الأوضاع المتأزّمة، برزت في الأفق الفلسفة الغربيّة الحديثة، أو ما يعرف بفلسفة الأنوار والتي عمل مفكروها وفلاسفتها على إيجاد حلول للخروج من هذه الوضعية، وبهذا ظهر مصطلح التسامح كقيمة أخلاقيّة للتّخفيف من حدّة ذلك الصراع، ويعدّ المفكر الفرنسيّ "فرانسوا ماري أرويه" "François-Marie Arouet" 1694م-1778م، المعروف بإسم "فولتير" من بين أهم فلاسفة عصر التّنوير، الذي ساهم بشكل كبير في ميلاد هذا المصطلح، ومن ثمّ تطويره وجعله الرّكيزة الأساسيّة للحدّ من الحروب اللامتناهيّة في أوروبا عامة وفرنسا على وجه الخصوص، وبهذا يصبح التسامح قيمة يتمحور حولها التّنظيم الإجتماعي والسّياسيّ الحديث.

ولقد حارب فولتير كلّ أشكال التعصب والإستبداد ونبذها، داعيًا بذلك إلى الحرّيّة والتّسامح، وحاول نشر رسالته السّاميّة و تحقيق السّلام والتّسامح العالميّ بين بني البشر بإعتبارهم إخوة، فكانت جلّ أفكاره وكتاباته بمثابة درع للدّفاع عن قيمة التّسامح، الّتي قيّدها المجتمع الكنسيّ والطّوائف الدّينيّة المتعصّبة.

وعلى هذا الأساس يتم صياغة الإشكاليّة التي يتمحور عليها هذا البحث في التساؤل التّالي : كيف عالج فولتير مفهوم التّسامح في فكره الفلسفيّ السّياسيّ؟ وكيف ساهمت أفكاره حول التسامح في بناء فكره الفلسفيّ السّياسيّ والإصلاحيّ؟

حيث يتم معالجة ذلك من خلال أسئلة فرعية تمثلت في:

- ما هو مفهوم التّسامح؟

ـ وما هي اللّبنات الأولى الّتي ارتكز عليها فولتير في بلورة فكرة التسامح لديه؟

ـ وهل نجح فولتير في بناء وتطوير فكرة التّسامح في فكره الفلسفيّ السّياسيّ للحدّ من التّعصّب الدّينيّ والسّياسيّ؟ وماهي أبعاد فكره التسامحي؟.

للإجابة عن هذه التساؤلات، قمنا بهيكلة بحثنا إلى فصول ومباحث ومطالب، معتمدين على **المنهج التاريخي** وذلك حين استعرضنا مفهوم وتاريخية مصطلح التسامح، **والمنهج التحليلي** وقد اعتمدناه في تحليل مضامين المصادر والمراجع فولتير وأهمها " رسالة في التسامح" (سنة 1763)

أما عن أهم الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع فأولا العامل الذاتي الذي تمثل في ميلي للمواضيع ذات الأهمية الإنسانية وكذلك أن فولتير من المفكرين الذين لا يتم دراستهم في حدود إطلاعي، أما من الجانب المعرفي نجد أن الفكر الفلسفي يهتم بدراسة حقوق الإنسان في العالم، بالإضافة إلى الثورة الفرنسية التي ساهمت في البحث عن حل لهاته الصراعات والحد من العنف، وذلك بالدفاع ونشر إشكالية التسامح متخذين في ذلك فرانسوا ماري أرويه المعروف باسم فولتير أنموذجا، حيث كانت اهتمامه حول الفكر الدّيني والسياسي عامة، ونظرا أن جُل الدراسات والبحوث قد اهتمت بالفكر التنويري عند فولتير لذلك سنحاول وبشكل خاص دراسة فكره السياسي، وعلاقته بفكرة التسامح التي تميز بها.

وعليه كانت أهداف البحث تتمثل في إظهار الفكر التنويري لفولتير في حالة التسامح والاستفادة من التجربة الأخلاقية، والدفاع عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة وكرامة الإنسان.

وتكمن أهمية الموضوع في تخطي هذه الصراعات والحروب الدامية، و خلق حلول لها باتخاذ الإنسان القيم الإنسانية نهج في الحياة، أهمها مبدأ التسامح.

أما الصعوبات التي واجهتنا خلال هذا العمل هي صعوبة فهم مصادر فولتير التي يتخللها نوع من الرمزية والغموض، وأيضا الوضع الراهن الذي عايشناه ولا زلنا نعيشه بسبب فيروس

كوفيد 19 الذي عرقل سير هذا البحث، رغم كل هذا فإنه لم يمنعنا من التقدم في بحثنا هذا بل قمنا بالاجتهاد فيه، ومواصلة هذه الدراسة والتوسع فيها.

ومما تقدم حول الموضوع جاءت الدراسة على شاكلة فصول تضمنت مباحث وعناصر كانت كالآتي:

**الفصل الأول:** درسنا فيه حياة فولتير الفكرية الذي يعد من أعظم كتاب فرنسا خلال عصر التنوير، وأهم مصادر فكره التي ساهمت في إنتاجه الفلسفي الإصلاحي والتي تركت بصمتها الواضحة على عدة مفكرين، و تم فيه أيضا التطرق إلى مفهوم التسامح لغة واصطلاحا، وتاريخيته بداية من الحضارات الشرقية وصولا إلى العصر الحديث.

**الفصل الثاني:** يوضح ظروف تبلور فلسفة التسامح عند فولتير انطلاقا من الظروف السياسية والدينية التي كانت نقطة بداية لظهور فكرة التسامح عنده وتطورها، فالتسامح عنده يهدف إلى نبذ العنف والتطرف ويحث على التآلف والتسامح، وتباين التسامح الكوني عنده من خلال رسالته العالمية التي تدعو للتعايش والسلام.

**الفصل الثالث:** المعنون بالتداعيات وآفاق فكرة التسامح عند فولتير، فأردنا فيه تبيان مدى تأثير فولتير في الجانب الديني والسياسي، ثم أثر فكرته في التسامح على رواد النهضّة العربية ابرزهم رفاعة الطهطاوي وفرح أنطون، فأخذ هؤلاء أفكار فولتير الإصلاحية أهمها مسألة حرية العقيدة والحرية وأيضا الأخوة الإنسانية ليتحقق التسامح في بلادهم.

# الفصل الأول:

# تاريخية مفهوم

# التسامح

يعد مصطلح التسامح واحد من المفاهيم الإنسانية الايجابية الذي شق طريقه إلى رحاب تاريخ الإنسانية فأضفى عليها المزيد من السلام في هذا العالم المليء بالمنغصات، فكان لتسامح حضور قوي خاصة في المجال السياسي والديني والأخلاقي، لهذا تعددت بشأنه وتنوعت الاتجاهات والآراء، ذلك لأنه يعد قيمة إنسانية، فتعدد واختلف مفهوم التسامح وذلك باختلاف وتباين الأزمنة والمجتمعات البشرية عبر الحضارات التي شاهدتها الإنسانية عبر التاريخ.

إن الصراعات الدينية بالقارة الأوروبية في العصر الحديث كانت نقطة بداية للعديد من الفلاسفة والمفكرين الذين ساهموا في بناء اصطلاحات عديدة، ومن أمثالهم "فرانسوا ماري أوريه" المعروف باسم "فولتير" الذي تطرق إلى فكرة "التسامح" في مشروعه السياسي الاصطلاحي.

فالأهم هو أن نقف عند هذا الفيلسوف والمفكر وذلك من أجل دراسة خلفيته السياسية والعلمية الفلسفية لكن علينا أولا أن نتطرق إلى التطور الفكري لفولتير الذي سيجعلنا نفهم جيدا مفهوم التسامح وتاريخيته.

المبحث الأول: التطور الفكري لفولتير

**1-حياته:**

**فولتير**: François Marie Ariouet de Voltaire(1694-1778) كاتب ومفكر فرنسي، ولد في باريس 24 نوفمبر 1694 ثم أقام في بروسيا وسويسرا، ولما بلغ السادسة من عمره دخل كلية لويس لوجران، وكان تخرجه منها وهو في السابعة عشر، أراد منه والده أن يدرس القانون ليصبح محاميا فستأنف دراسة القانون في مكتب محام دخل انجلترا في مايو سنة 1726 وتعرف إلى شخصيات عظيمة المكانة في انجلترا آنذاك وبدأ في قراءة شكسبير وملتون.[1]

وهذا الذي عرفه عصره باسم مسيودي فولتير والذي يدعوه العالم كله فولتير تحببا، كان يسمى في الواقع "فرانسوا ماري أوريه" واسم فولتير الذي خلده هو اسم أرض صغيرة كانت تملكها أمه، وولد فولتير في شاتنيه، قرب باريس أو في باريس نفسها، كان والده ابن صندوق في ديوان المحاسبات ويتمتع بثروة ذات شأن، أما والدته "مارغريت دومون" فكانت من عائلة من صغار النبلاء في مقاطعة(بواتو)، ودخل فولتير الحياة بعائقين صحته الضعيفة التي يشكو منها دون انقطاع الذي كان يحرمه من الامتيازات في ذلك العهد على الطبقة العليا من النبلاء، واصله البورجوازي.[2] وبهذا يكون فولتير ذلك الفيلسوف الذي برز في سماء الفكر الفلسفي الحديث رغم كل الظروف القاسية التي تعكس حياته وظروفها.

بعد مدة سافر" إلى هولندا فقابل فيها مدام دي نوايّه وهي امرأة صاحبة مكائد وعندها بنت فوقع فولتير بالطبع، في غرام البنت مما أدى إلي مشكلة مزعجة"[3]، فعاش معها جملة من الويلات، فكان سبيله الوحيد الهروب من القصر، الذي حجر فكره وأبعده عن الحبر والكتابة فعاد بعدها إلى فرنسا واختبأ في روان حتى سمح له بالإقامة وتقع عودته سنة1629 ، وفي عام 1630 مثلت له مسرحية "بروتاس"،وتليها مسرحية"اريغيل"وزائير"، فاستقبلت هذه

[1] عبد القادر تومي، وجوه الفلسفة، مؤسسة كنوز الحكمة لنشر و إشهار، د ط، 2009، ص 9
[2] اندريه كريستون، فولتير حياته-أثاره-فلسفته، تر: مصباح محي الدين، منشورات هويدات، بيروت،باريس، ط 2، 1984، ص 10
[3] مرجع نفسه, ص 12.

المسرحية استقبال الآثار الخالدة سنة1632[1] في هذا السياق ابتعد فولتير على المسرح والتمثيل واتجه إلى إكمال مهام والده في القضاء.

ففكر والداه أن يدخلاه سلك القضاء فعهد به إلى اليسوعيين يدرسون كلية لويس لوغران فوجد أساتذة مثقفين مثل الآباء تورغين ولوجي وبوري، تعلم فيها كل ما كان يستطيع تعلمه الفتى في ذلك عهد من الآداب الكلاسيكي والتاريخ والعلوم والفلسفة تخرج من الكلية في عام 1713، دعاه والده لدخول عند محام لكن هذه المهمة لم تلاؤمه مطلقا، إذ كان يحترق شوقا لكتابة ونظم الشعر والسير في السبل المجيدة، التي سار عليها كورناي وريس فخلق لنفسه اسما كبيرا[2]، وهكذا ابتعد مرة أخرى فولتير على القضاء ليتجه نحو الفلسفة وكتابة الروايات ليعتبره البعض ذلك الفيلسوف الذي جال شوارع المعارف بأنواعها.

تميزّ فولتير ب " خصوبة ذهنه التي لا ينصب معينها، وذكاء عقله المتقد نورا"، مع ذلك لم يركن إلى مواهبه العقلية لاكتساب قوة نفوذه وعلو كعبه، بل كان عاملا مجتهدا، مجاهدا لا يتسرب الكلال إلى نفسه"[3]، وقد تعرض للاعتقال مرتين وأمضى عدة سنوات في المنفى بسبب معارضته للسلطات الفرنسية من خلال أعماله التي يغلب عليها طابع سياسي، وتوفي بعد عودته لباريس بمدة قصيرة في مايو سنة1778 بباريس.

ومما سبق يتضح لنا أن فولتير تلك الشخصية الفذّة والفيلسوف الشغوف والشاعر الفرنسي تميز بفكره الفلسفي في الساحة الفكرية واعتبرت الظروف التي عاشها بالأخص الثورة الفرنسية التي كان لها الأثر البالغ في تكوين وتشكيل فكرة التسامح لديه باعتبار إن الواقع آنذاك يعكس الظلم والاضطهاد والتعصب، مما جعل فولتير يبلور ويفتح أفاق وسبل الإصلاح من خلال أعماله و كتاباته.

## 2- المصادر الفكرية لفلسفة فولتير:

[1] اندريه كريستون، فولتير حياته-أثاره-فلسفته، تر: مصباح محي الدين مرجع السابق، ص18.
[2] اندري كريستون، فولتير حياته، أثاره،فلسفته، مرجع سابق، ص11.
[3] سعيد حبيب،أعلام الفكر الفرنسي، دار الشرق و الغرب،القاهرة،د ط،1950 ،ص57.

عاش فولتير في فرنسا جملة من الظروف العصيبة من ظلم وتهميش، حتى أنّه تعرض للسجن ويعود ذالك لكتاباته التي كانت كسيف لاذّع ضد الحكومة الفرنسية والكنيسة، وهذا ما أدى به إلي مغادرة فرنسا والتوجه نحو انجلترا، فعاش فيها مدّة جيدّة فأعجب فولتير بالنظام السياسي في انجلترا لأنه كان يتمتع بالحرية فحاول أن يشن الحرب علي جميع الأفكار المتعصبة في بلده الأصلي، فرنسا لكي تصبح مثل انجلترا، فهو " لم يخف إعجابه بالنظام الملكي التمثيلي والمحدود في انجلترا، والذي يضمن الحريات السياسية والمدنية التي كانت غير مضمونة في فرنسا، بل لقد عمل علي الترويج لها وكافح لتحقيقها."[1] يعني أن فولتير كان يريد الوصول إلي شعوره بالحرية في فرنسا وذلك من خلال الحرية الانجليزية، لان انجلترا أصبحت لديه المثل الأعلى في حفظ وتحقيق الحريات.

وتأثر بدراسات نيوتن العلمية بقوله: " تناولت اكتشافات الفارس نيوتن التي نالت بها الشهرة عالمية, نظام الكون والضياء واللانهائي في الهندسة ثم علم الأزمنة الذي تلهي به الراحة،بلاهندر ماقدرتُ – عن شيء القليل الذي استطعت أن أصيبه من جميع هذه الأفكار."[2]يعني أن فولتير طرح في كتابه رسائل فلسفية كيف تأثر بأفكار نيوتن، حيث أن فولتير:" غدا تلميذ مجتهدا لأراء نيوتن، وأضحى بعد ذالك البطل الأول في أفكار نيوتن في فرنسا."[3] بمعنى أن فولتير كان مولعا بأفكار نيوتن فكان التلميذ الأول لأفكاره العلمية خاصة، فقد كان فولتير تلميذا مجتهدا لأفكار وأراء نيوتن، حتى أنه روى كل أفكاره في فرنسا.

أثناء نفي فولتير إلي بريطانيا، قام بدراسة الدستور البريطاني الذي يحرص علي تحقيق الحرية والتسامح وينبذ كل أشكال الظلم والعنف، فدرس دراسة عميقة لفلسفة " جون لوك " وهي أكثر شيء تأثر به فولتير في فلسفته فيقول في كتابه رسائل فلسفية بالتحديد في الرسالة الثالثة عشر حول " مستر لوك " : " وقد ذهب لوك بعد أن قضى علي مبدأ الأفكار

[1]عارف عادل مرشد، ملامح من الفكر السياسي عند فولتير، فيلادلفيا الثقافية 7، فصلية، جامعة الزرقاء الأردن، 2010، ص 42.
[2]فولتير ، رسائل فلسفية، تر: عادل زعتر، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2014، ص109.
[3]ول ديوارنت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلي جون ديوي، حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم، تر: فتح الله محمد المشعشع منشورات مكتبة المعارف بيروت، ط6، 1988، ص 258.

الفطرية، وبعد أن عدّل علي الاعتقاد الباطل القائل أن الإنسان يفكر دائما إلي أن جميع أفكارنا تأتينا بواسطة حواس كما فحص أفكارنا البسيطة وأفكارنا المركبة، وتتبع روح الإنسان في جميع أفعال، ويتبين مقدار نقص اللغات التي يتكلم بها الناس ومقدار ما تأتي من سوء في استعمال الكلمات في جميع الأوقات." [1] وهذا يدّل علي أن مصدر المعارف عند فولتير وجون لوك هي الحواس فهم يتفقان فيها ولا يختلفان إطلاقا.

"كان فريدريك الثاني قد بدأ المراسلة مع فولتير, ولقد كان فولتير مهتما بأن يعرف أصدقاؤه أن فريدريك هو الذي بادر بالمراسلة.....في صيف 1750 أدار فولتير ظهره لباريس( التي لن يعود لزيارتها إلا بعد عودته المظفرة في السنة الأخيرة من حياته)وبدأ ثلاث سنوات من الإقامة في بلاط الملك فريدريك الأكبر، وقد تحرر من الوهم عندما اكتشف أن الملك فريدريك لم يقدر كثيرا أفكاره السياسية والفلسفية، والواقع أنه لم تكن هناك خدمة تسدى إليه أفضل من إسعاد فريدريك، وتصحيح أشعاره الفرنسية وامتداحها."[2] أعجب فريدريك الثاني ملك بروسيا بفولتير كثيرا فدعاه لقصره، وهذا ما جعل فولتير سعيدا جدا بهذه الدعوة مسارعا لزيارته وذالك ظناَ بأنه سيقدر أشعاره وأفكاره التنويرية.

قال **فكتور هوجو:** " أن اسم فولتير يصف القرن الثامن عشر كله، فقد كان لايطاليا نهضة ولألمانيا إصلاح، ولكن فرنسا كان لها فولتير.[3] هذا دلالة علي أن فولتير له الأثر الكبير والمكانة الهامة في أوروبا خاصة في عصر التنوير، لأنه حارب الظلم والتعصب والعنف ودافع عن التسامح والسلم والسلام والحرية من خلال كتاباته.

تأثر فولتير بفكرة الشك عند ديكارت فيقول: " لقد اتخذت لي مرشدّا ومثلا علي القديس توما ديديموس الذي أصر دائما علي الفحص والتجربة بيديه..."[4] فهو يتخذ من الشك طريقة للفحص والتأكد من أفكاره قبل نشرها للعامة.

---

[1] فولتير، رسائل فلسفية، مصدر سابق، ص 96.

[2] ليود سبنسر وأندرزيجى، عصر التنوير، تر:إمام عبد الفتاح إمام، مجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005ص 117.

[3] ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلي جون ديوي، مرجع سابق، ص 250.

[4] ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلي جون ديوي، المرجع السابق، ص 291.

يعتبر فولتير وروسو من أهم الفلاسفة الفرنسيين الذين برزوا في القرن 18م، فكلاهما يطرحان أفكار إصلاحية للتغير من الأوضاع المزرية في فرنسا آنذاك، لكن هاته الأوضاع قد فصلت بين الفيلسوفين الفرنسيين وذلك للاختلاف الذي بينهما،" إننا نرى في هذين الرجلين مرة ثانية الصراع القديم بين العقل والغريزة، لقد أمن فولتير في العقل دائما–" إننا نستطيع تثقيف الناس وإصلاحهم بالخطاب والقلم "، ولكن روسو يؤمن بالعقل إلا قليلا ويريد العمل ولم ترهبه مخاطرة زج البلاد في ثورة." [1] نلاحظ أن فولتير وروسو مختلفين جدّا وأن العلاقة عدائية بينهما فهم في صراع دائم، ولا يتفقان في أية فكرة سوى أنهما يريدان إصلاح الأوضاع في فرنسا.

إن زيارة فولتير لانجلترا صبت في ذهنه العديد من الأفكار الإصلاحية المتحررة، " فبدأ يدرس اللغة الانجليزية بصبر وشجاعة، وقرأ أفضل الأدب الانجليزي في ذالك القصر."[2] بذل فولتير جهده في تعلم كل ما يخص انجلترا لأنها تتمتع بالعقلانية والحرية التفكير التي جعلت من انجلترا بلدا مثاليا لدّي فولتير، " استوعب فولتير آداب انجلترا وعلومها وفلسفتها، لقد جمع كل هذه العناصر المختلفة من المعرفة وسكبها بنار الثقافة والروح الفرنسية، واخالها إلي ذهب من البلاغة والفصاحة الفرنسية."[3] يتضح أن فولتير لم يترك شيئا إلا وتعلمه من انجلترا لينقله إلي فرنسا، وإصلاحها من جديد لتكون دولة متحررة و متسامحة تنعم بالحرية الفكرية والسلام الدائم.

يتضح موقف فولتير من الميتافيزيقا أنه: " نّحن لا نعرف شيئا عن العلة الأولى، والحقيقة أنه من المغالاة والتطرف تعريف الله والملائكة والعقول، وأن نعرف بدّقة لماذا خلق الله العالم في الوقت الذي لا نعرف فيه لماذا نحرك أذرعنا بإرادتنا."[4] بمعني أن فولتير يرى بأن الميتافيزيقا هي علم لا يمكن معرفته بدّقة، ولا أحد يستطيع تصور ماذا يتناول أو ماهي حقيقة أفكاره، أما الذين يحاولون دراسته فهم في نظره دجالين فقط.

[1] المرجع نفسه، ص 307، 308.
[2] المرجع نفسه، ص 257.
[3] المرجع نفسه، ص 258.
[4] ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلي جون ديوي، المرجع السابق، ص 291.

ومن هنا تتضح فلسفة فولتير التي كانت أفكار تنويرية، تدعوا إلي تحرير العقل وإعطائه الحرية ليتخلص من قيود الأفكار الكلاسيكية القدّيمة، التي قيّدت الإنسان وجعلته حبيس سلطة الكنيسة فحرّرها وأخرجها إلي نور العقل.

**3- أهم مؤلفاته:**

نجد مما سبق أن الفيلسوف الفرنسي فولتير تميز مشروعه الفلسفي بالدقة والصرامة فكانت قراءاته وكتاباته ثمرة هذا التميز، فتنوعت بتنوع الجوانب والأبعاد الفكرية والسياسية من جهة،والدينية والأخلاقية من جهة أخرى ومن أهمها:

أ- رسالة في التسامح: صدر في1763

وهي عبارة عن مؤلف يتضمن 25 فصل، والذي يتناول فيه قصة عن عائلة آل كلاس تعرضت للظلم من طرف الحكومة الفرنسية والتي مفادها أن رب الأسرة بريء ضحية خطأ وانفعال أهوج و تعصب...إذ هذه القضية هي قضية دين وانتحار وقتل أب معا، وبيت القصيد منها معرفة إن كان الأب والأم قد عمد إلى خنق ابنيهما ارضاءا لله، وما إن كان أخ قد خنق أخاه أو صديق قد خنق صديقه، وما إذا كان القضاة يستأهلون اللوم والإدانة لانهم أمروا بتعذيب أب برئ على الدولاب حتى الموت أم على العكس لانهم وفرو حياه أم وأخ وصديق مذنبين"[1] مما يعني أن هذه العائلة التي كانت بمثابة الحافز الأول لكتابة فولتير لهذه الرسالة لتصبح رسالة عالمية لنشر التسامح بين جميع البشرية، وليست فقط عائلة آل كلاس.

ب- الكانديد:Candide ou l'optionisme صدر في1759

كتب فولتير رواية الكانديد وهو في عمره64 سنة، نشره في جنيف، "وكان الموضوع الذي تناقشه هذه الراوية هو السفر، فكانديد لا ينفك عن التنقل في كل رواية، وينجم تنقله عن

[1] فولتير،رسالة في التسامح، تر:هنريت عبودي، داربتر للنشر، دمشق،ط1،2009 ،ص ص09-10

رغبته في الهرب، وفي الوقت نفسه عن الرغبة في البحث عن خطر الموت والبحث عن الجميلة كونيغوند"[1] فكانديد هو صبي صغير مستقر في كانديد ينتقل من حالة سيئة إلي حالة أسوء "كتب فولتير رواية الكانديد ردا علي نزعة التفاؤل التي وضعها لايبنتز الفيلسوف الألماني الذي قال ( كل شيء علي خير حال في أحسن عالم يمكن أن يكون)"[2] هذه الفكرة معاكسة لما عاشه كانديد لذا أراد فولتير الرد عن هذه المقولة من خلال رواية قلعة بارون واجهة العديد من المشاكل وذلك بسبب قبلة ممنوعة مع كونيغوند وهي ابنة البارون، فقد كلفته الكثير من المتاعب والمشاق مثل زلزال لشبونة وحرب السنوات السبع 1756 هنا الكانديد ليعيد التوازن إلي التفاؤل المفرط في نظرية الفيلسوف لايبنتز .

ج- قاموس فولتير الفلسفي: Dictionary philosophique الذي صدر في1764

وهو عبارة عن قاموس موسوعي اشتمل على مفاهيم عصر التنوير، واستبعد أفكار الكنيسة الرومانية و الكاثوليكية، "وهذا القاموس لا يمكن أن يقرأه إلا أناس متميزون فالإنسان العادي ليس مهيأ لمثل هذه المعارف"[3]، فقد تناول فيه بجرأة عدّة مواضيع حسب الترتيب الأبجدي فأقام في كل موضوع جزاءا من معارفه وحكمته والغاية منه هي إعلاء منزلة العقل وهدم الفلسفات الميتافيزيقية والدعوة إلي السلام، فقد استخدم فولتير لغة عادية للتعبير عن أكبر المذاهب الفلسفية الغارقة في التجريد، وهو من أهم أعمال فولتير الفلسفية في عصر التنوير لتطوير الفكري والحضاري.

د- رسائل فلسفية: Lettres philosophiquesصدر في 1733

وهو عبارة عن 25 رسالة، و"تحمل رسائل فلسفية على نظم فرنسا وطبقاتها، وآدابها السياسية في عصر فولتير، فكان هذا الكتاب من أقوى العوامل في إيقاظ الثورة الفرنسية

[1] فولتير،كانديد و التفاؤل، تر:أنا ماريا شقير،دار و مكتبة الهلال، بيروت،ط1 ،2005 ، ص08.
[2] .أحمد عمر،كانديد-مسارات-كتب-البيان،(10أكتوبر2005)،يوم(31-05-2020)،10:03، https://www .albyan .ae
[3] فولتير:قاموس فولتير الفلسفي، تر:يوسف نبيل، مؤسسة هنداوي، د ط،2016 ،ص 9.

وتوجيهها من عدة"[1] نواحي وتهذيب الذوق قبل كل شيء، هو أكثر ما هدف إليه فولتير في هذا الكتاب. كتبه إبان إقامته في انجلترا موضحا للفرق الشاسع بين المجتمع الانجليزي والمجتمع الفرنسي, فقد اتجه فولتير إلي مدح أعلام الانجليز مثل " نيوتن" وتجارب انجليزية مثل جماعة " الكويكرز"، حيث أثنى فولتير علي نظام انجلترا واتصل بأعظم فلاسفتها، حيث أعجب بالدستور الانجليزي وبالتسامح الدّيني وحريتهم السياسية، عاد فولتير إلي فرنسا محملا بالكثير من المشاريع الإصلاحية الدّينية والحرية السياسية، ونشره أول مرة في فرنسا سنة( 1734) .

[1]فولتير، رسائل فلسفية، تر:عادل زعيتر،الهنداوي للطباعة و النشر، بيروت، دط، 2014 ،ص11.

## المبحث الثاني :مفهوم التسامح وتاريخيته

### 1- مفهوم التسامح:

أ-لغة:

ويعرفه الحنفي في معجمه :"التساهل، تقول تسامح في حقه أي احتمال انتقاصه ...و السماحة في السياسة هي اللين" [1].

وردت كذالك لفظة التسامح في المختار الصحاح :"س م ح -(السّمَاحُ) و (السماحةُ) الجود (سَمَحَ) به يَسْمَحُ بالفتح فيهما (سَمَاحاً) و(سماحة) أي جاد و (سَمَحَ) له أي أعطاه، و(سَمُحَ) من باب ظرف صار (سَمْحاً ) بسكون الميم، وقوم (سُمَحَاءٌ) بوزن فقهاء وامرأة (سَمْحَةُ) بسكون الميم ونسوة (سِمَاحٌ) بالكسر. و(المُسَامَحَةُ) المُسَاهَلَةُ و(تَسَامَحُوا) تساهلوا."[2]

كما وردت في قاموس المنهل ALmanhal فرنسي – عربي ,Tolérable" تساهل، تسامح إغْضاء ،حِلْم,Ce n'est pas un droit.cest un: ليس هذا حقا، بل هو سماح"[3]

ويعرفه أيضا "ابن المنظور ":سمح":السِّماحُ والسَّمَاحة: الجود...الإسماح :لغة في السّماح،يقال سَمَحَ وأَسْمَحَ إذا جاء وأعطى عن كرم وسخاء ...والمسامحة :المساهلة و تسامحوا :تساهلوا ...وفي الحديث المشهور :السّماحُ رابح أي المساهلة في الأشياء تربحُ صاحبها، وسمح وتسَمَّحَ :فعل شيئا فسهّل فيه."[4]

ب-اصطلاحا:

نجد أن مفهوم التسامح يقابل مفهوم التعصب، فظهرت فكرة التسامح كمفهوم في نهايات القرن السادس عشر ميلادي كما ورد في موسوعة لالاند :"ولدت كلمة التسامح في القرن السادس عشر من الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت :فقد انتهى الأمر بأن تساهل

[1] عبد المنعم الحنفي، المعجم الفلسفي، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، لبنان، د ط، 1992، ص54.
[2] محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1986، ص131.
[3] سهيل إدريس، المنهل فرنسي –عربي، دار الآداب، بيروت، ط42، 2010، ص 1205.
[4] ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن المنظور الإفريقي المصري، لسان العرب دار صادر، بيروت،د ط،دس،ص489.

الكاثوليك مع البروتستانت، وبالعكس ثم صار التسامح يرتجي جميع الديانات وكل المعتقدات وفي آخر المطاف، في القرن التاسع، شمل التسامح الفكر الحر."[1].

وبالنسبة لمعجم الفلسفي "لمراد وهبة":فالتسامح يعني في الاختلاف وفي انسكاو بيديا بريتانيكا "التسامح هو السماح بحرية العقل أو الحكم علي الآخرين "، وهذا التعريف يكشف عن إحدى السمات الهامة للتسامح وأعنى بها الحرية، بيد أن الحرية ليست مطلقة وإلا فإنها تولد التعصب والحرية منذ فجر البشرية منظمة".[2]

فمصطلح التسامح هو في تضاد تام مع مصطلح التعصب، فالتعصب كما عرفه "إبراهيم مذكور":"غلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة، بحيث لا يدع مكانا للتسامح ".[3] ويرى "إبراهيم مذكور" في معجمه الفلسفي أن التسامح هو :"سعة في الصدر، تفسح للآخرين أن يعبروا عن أرائهم، ولو لم تكن موضوع تسليم أو قبول، ولا يحاول صاحبه فرض أرائه الخاصة علي الآخرين ".[4]

ويقول جميل صليبا في معجمه الفلسفي أن :"التسامح عند علماء اللاهوت هو الصفح عن مخالفة المرء لتعاليم الدين والتسامح في اصطلاحات فولتير وغيره من فلاسفة القرن الثامن عشر ميلادي هو :ما يتصف به الإنسان من ظرف و أنس، وأدب، تمكنه من معايشة الناس رغم الاختلاف أرائهم عن أرائه".[5]

ومن هذا فإننا نلاحظ أن مفهوم التسامح واسع جدا، باشتماله مختلف الاتجاهات الفكرية والفلسفية، وخاصة النفسية والثقافية وذالك لجعل الإنسان يتقبل أراء الآخرين مهما كانت ثقافتهم وعقائدهم وتوجهاتهم في الحياة، والذي نعتبره علاج نفسي سريع المفعول بالانشغال العقل بالتساهل والتسامح والتغاضي عن أخطاء .

[1] اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر:أحمد خليل، منشورات عويدات، م1، ط2، بيروت، 2001، ص 1460.
[2] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، دط، القاهرة، 2007، ص185.
[3] ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د ط ،القاهرة، 1983 ، ص 49 .
[4] المرجع نفسه ، ص 44 .
[5] المرجع نفسه، ص 44.

"فتاريخ البشرية يشير إلي أن التسامح الذي يقف في مواجهة التعصب – يعتبر دعامة أساسية من دعائم الفكر الفلسفي, لأن اعتماد الشك في التفكير الآخرين، فهنا يعم السلام وانتشار المحبة بين البشرية جمعاء.الفلسفي والإيمان بالنسبية في الحقيقة والاعتراف بأن الاختلاف أمر مشروع، لهو التسامح بعينه."[1] مما يعني أن الاختلاف أمر طبيعي يدعونا بالضرورة لتسامح والتساهل وتقبل الأخر.

[1] مسدوة وهيبة ،خطاب التسامح في فكر الأنوار ، مذكرة شهادة الماجستير ،جامعة السانية ، وهران، 2010\2011، ص 50.

**2- تاريخية مصطلح التسامح**:

أ- حضارات الشرقية:

إن فكرة التسامح قديمة قدم الحياة الأخلاقية ذاتها، فهي في تاريخ البشرية تشير وتوضح السلام ضد العنف والتعصب، لهذا ظهرت فكرة التسامح مع الحضارات الشرقية المصرية والهندية من جهة، والصينية من جهة أخرى، فأصبح التسامح مشروع تلهج بها النخب والعوام، وفي هذا السياق تجدر بنا الإشارة إلي ذكر كل حضارة على حدا لنقف أمام المفهوم الذي يعكس التسامح كقيمة أخلاقية .

1-الحضارة المصرية:

إن البحث في تاريخ الحضارة المصرية القديمة، خاصة الفراعنة نجدهم يدعون بالقول إلي التسامح مظهرا ومخبرا، وبشكل دقيق وخاصة الدعوات المعاصرة والحداثية، وذلك بداية مع أزمة التنوير الأوروبية، فلا يمكن للعدالة أن تنفصم عن أهم قضية وأهم مفهوم الذي يدعو بالتسامح باعتباره حق أصيل لا يمكن لقيام مجتمع بدونه أو بدون عدالة اجتماعية، فالتسامح "وهو ما يتصف به الإنسان من ظرف وأنس،وأدب،تمكنه من معايشة الناس، رغم اختلاف أرائهم مع أرائه."[1]

والتسامح عند بتاح حوتب " اسم مشتق من السماحة الظاهرة في البشاشة وأمان النفس، وطالب حوتب ابنه، أن يكون متسامحا قال له :"وكن سمح الوجه مادمت حيا فأن ما يخرج من الشّونة لا يعود فيدخلها."[2] وهذا يعني حوتب يدعوا إلي التسامح كقيمة أخلاقية إنسانية، وعلي الإنسان أن يكون متسامحا في الحياة الاجتماعية وذالك للقضاء والابتعاد عن العنف والتعصب.

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، دط، 1982، ص 271.
[2] عبد الحميد درويش، الفلسفة في مصر القديمة من أمحوت بالي أخناتون، مكتبة وهيبة القاهرة، ط1، 1998، ص 41.

2-الحضارة الهندية:

نجد أن فكرة التسامح تجلت في الحضارة الهندية من خلال تعاليم بوذا ونبذه للتفرقة والعنف بين جميع الديانات الأخرى المغايرة بتقبلها بصدر رحب، وهذا المنطلق كان بمثابة دعائم تشكل جوهر البوذية وفي الفكر الأخلاقي التسامحي.

"عرفت أسس البوذية بطريقتها المتسامحة حيال كل الديانات الأخرى، والتفسيرات الفردية المختلفة للتعاليم البوذية، وعلي الرغم من الخلافات الموجودة بين البوذيين في مختلف مناطق العالم إلا أنهم يتميزون بخاصية قبول الأخر والاعتراف به ."[1] وبهذا تكون البوذية ترفع شعار التسامح كقيمة أخلاقية تؤكد علي القيمة الإنسانية بالدرجة الأولى، فرغم الاختلاف والتباين بين الديانات الأخرى إلا أنها تقبل الطرف الأخر وتؤكد على محبتها له، وهذا ما يتجلى في الأخلاق التي نادي بها بوذا للتي تتوسط بين هذه الأخلاق .

ومن جهة أخرى أقام بوذا جملة من الأخلاق الوسطية التي أطلق عليها اسم الطريق الوسيط، بحيث يوجد طرفين له، طرف يمثل الحياة المليئة باللهو، والطرف الأخر يمثل الحياة القاسية المليئة بالحرمان، فبوذا يقر بأن الحكيم هو الوحيد الذي يمر بين هذين الطرفين بقوله :"أما الفضائل التي تتوسط هذين الطرفين فهي :الشجاعة والاعتدال والكرم والتسامح، والتودد، وأن يعيش وفقا لمبدأ التوسط في الأمور قد لا يحقق لنفسه نشوة حياة التأمل الخالص، ولكنه يضمن لنفسه حياة التوازن السعيد تحت سيطرة العقل ."[2]

3-الحضارة الصينية :

نجد أن الحضارة الصينية قدمت فكرة التسامح بطرح أكثر وضوح ونددت إلي خلق شعار السلم والتسامح، وشجعت الطبيعة الخيرة الوالدة بالفطرة عند الإنسان.

وهذا ما دعت إليه فلسفة كونفشيوس بأن الإيمان بالخير مثال أعلى، والعمل على تحقيقه مثال على تألف وتسامح البشر، في ذلك يقول حكيم الصين العظيم :" إن القدامى الذين

[1] مسدوة وهيبة، الخطاب التسامح في فكر الأنوار، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، وهران، 2011\2010، ص 57.

[2] السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، د ط، د ب، 2000 ، ص 25 .

أرادوا أن ينشروا الفضائل في أنحاء الإمبراطورية قد بدؤوا بتطهير قلوبهم، ولما صلح حكم ولاياتهم أصبحت الإمبراطورية هادئة وسعيدة ."[1] ومن هنا يوضح كونفشيوس بأن قيم الغير مثال للتسامح والمحبة والتآلف، فكلما عززنا الطبيعة الخيرة ونبذنا الشريرة منها التي تدعوا للعنف كحل للحد من النزاعات والصراعات كانت الإمبراطورية تحمل في طياتها تشكيل أخلاقي تسامحي، ينبذ ويرفض كل أنواع العنف والغل .

وهذا ما نجده في إحدى النصوص الصينية :" إذا أردت يوما أن تضع حاكما علي طريق " الطاو" فأشر عليه، وانصحه ولا تستعمل القوة أبدا، لكي لا تقهر العالم، أفعل ما يجب عليك ولكن لا تستغل قوتك ."[2] وفي هذا الصدد تقر الحضارة الصينية بصفة عامة وكونفشيوس بصفة خاصة بأن التسامح قيمة ترسخ الوئام والتآلف في الإمبراطورية بحيث أن الفلسفة الصينية ربطت الجانب السياسي بالجانب الأخلاقي، فالحاكم رغم قوته ورباطة جأشه إلا أنه لا يجب أن يستغل هذه القوة لفتك عدوه و انتصاره، وبهذا يعكس روح الطبيعة الخيرة فيه يؤكد العالم بأن العالم يتحلى بالسلام ونشر التسامح بين جميع البشر.

ب- الفلسفة اليونانية:

كانت قيمة التسامح قد أخذت قيمتها من اللغة الإغريقية، فقد زرعت بذورها علي أرض اليونان على يد كبار فلاسفتها، وبهذا يجدر بنا الإشارة السفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو نماذج نوضح بها مفهوم التسامح في هذه الحقبة .

1-السفسطائيين:

إن كل ما جاءت به الجماعة السفسطائية من تنظير فلسفي سواء في المجال الأخلاقي أو المجال المعرفي، يقوم علي مبدأ التسامح، لقد جسد السفسطائيين مبدأ التسامح دون قصدً يعني من دون أن يكون هدفهم هو التأسيس لمصطلح التسامح، فتنظيرهم الفلسفي سواء كان في مجال الأخلاقي أو في مجال المعرفة، كان قد جُسد في مقولتهم الشهيرة " الإنسان مقياس كل شيء " هاته المقولة التي يمكن أن تكون اختصار لمفهوم التسامح بالنسبة إليهم،

[1] محمد حسن، تيارات الفلسفة الشرقية، دار علاء الدين، د ط، دمشق، 1999 ، ص 66 .
[2] لوتسو ، الطريق إلى الفضيلة ، تر: علاء الديب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط. د ب، 1998 ، ص 36 .

فالحقيقة عند السفسطائيين ليست عند أية أحد لأن لكل وجهة نظره، لكل رؤيته، فالخير والشر كذالك، كلها قيم لا تستطيع البشرية أن تتفق عليها لأنها راجعة للذات الإنسانية فقط، فهي إن كان خيرا فهو خير وان كان شرا فهو شر، هنا يتجسد المفهوم الحقيقي للتسامح فهاته الحرية في الآراء هي تسامح لا تعصب،" فمن الممكن أن تلمس الأسس الفلسفية لميلاد مفهوم حقوق الإنسان في الفكر اليوناني قديما بدءا من السفسطائيين،خاصة في فكرة القانون الطبيعي لديهم، ودعوتهم الحارة للعودة إلي الحياة الطبيعة، وإلي ما تنص عليه من حرية ومساواة بين كل الأجناس ... لقد جعل بروتاجوراس شعاره الإنسان معيار الأشياء جميعا قاصدا بذالك أن العقل الإنسان الحر هو الحكم الأوحد في المعرفة، وفي السياسة والأخلاق التي تحكم ."[1] فالسفسطائيين من كبار الفلاسفة الأوائل الذين كان لهم الأثر العميق في فلاسفة التنوير الذين نادوا بفلسفة التسامح من أمثال جون لوك

2-سقراط:

تظهر قيمة التسامح عنده من خلال قصته، وذلك باتهامه بإفساد الشباب والإلحاد، فحكم عليه بالإعدام من طرف حكومة أثينا، وبدوره سقراط أنكر كل هاته الاتهامات التي وجهت له، التي تدعوا بفساد الشباب بتعاليمه وإخراجهم عن الدين"، وقد كان موقف سقراط أثناء دفاعه وبعد الحكم مثيرا لسخط القضاة، وداعيا إلي القسوة واللاّتسامح فقسا القضاة وأتمّت السياسة اللامتسامحة حيث قضت بالموت علي أبي الفلسفة."[2]مما يعني أن أثينا في ذالك الوقت كانت تدعوا للتعصب والقسوة ورفضت مبدأ التسامح جاعلة من الإعدام كحل لعدم الخروج عن تعاليم الدين وإصلاح الشباب .

وكانت دعوة سقراط لتسامح واضحة وذلك بقوله "أن الحياة الطيبة هي الحياة الممتعة التي تخلو من الآلام والأحزان، ثم يحاول أن يجعل من الحياة الممتعة شيئا طيبا أو خيرا"[3] ومن

[1] محمود مراد، المصادر السفسطائية اليونانية لحقوق الإنسان، أبحاث في المؤتمر الدولي الثاني لقسم الفلسفة ( الفلسفة وحقوق الإنسان)، المجلس الأعلى للثقافة، 2010، ص 147.

[2] مسدوة وهيبة، الخطاب التسامح في فكر الأنوار مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، مرجع سابق، 64.

[3] أفلاطون، في السفسطائيين والتربية (محاورة "بروتاجوراس") ،تر: عزت قرنى، دار قباء لطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 2001، ص 55 .

هنا يتضح لنا أن سقراط كان داعيا لحياة يسود فيها الخير والعدالة والتسامح ورفض كل أشكال الظلم والتعصب والقسوة والألم التي تجعل من الإنسان لا متسامحًا .

3-أفلاطون:

يدعوا أفلاطون لقيم أخلاقية ولمدينة فاضلة ومتسامحة، والتي جسدّها من خلال فضائله الثلاثة التي حددها، ويظهر من خلال :" الفضائل الثلاثة تدبر قوى النفس الثلاثة:الحكمة فضيلة العقل تكمله بالحق، والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء فتترك النفس هادئة والعقل حرا، ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل علي الشهوانية، فتقاوم إغراء اللذة ومخافة الألم والحكمة أولي الفضائل ومبدؤُها."[1] بمعنى أن الخير مرتبط بهاته الفضائل والتأكيد علي ضبط فضيلة واحدة ألا وهي العدالة التي تقود الإنسان إلي الدعوة للتسامح كمبدأ للحياة الاجتماعية فاضلة يسودها العدل والحق والتّسامح ودفع الألم وجميع أشكال القسوة .

4-أرسطو:

عاش أرسطو في مدينة لامتّسامحة فاعتبر أن :" مهمّة المدينة ليست قائمة في المعاش فحسب,بل في المعاش الحسن أيضا، وتوفير السّعادة هذا من جهة، ومن جهة أخرى علي المدينة أن تعمل على تنشيط وتشجيع العمل العقلي بما يسمح من تفاعل وتلاقح العقول والأفكار بعضها ببعض...، وأما الحالة التي يزدهر فيها العاملان العقلي والخلقي فهي حالة السّلم واللاّعنف والتسامح."[2] يعني أرسطو يسعي لتحقيق مدينة يسودها السّلام والأمن والتّسامح، ويستبعد العنف والتعصب لتحقيق حياة سعيدة.

ج- العصور الوسطى:(المسيحية- الإسلامية)

1-المسيحية:

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د ط، 2012، ص 115 .
[2] نقلا عن:مسدوة وهيبة،خطاب التسامح في فكر الأنوار، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، مرجع سابق، ص67.

كانت في البداية مع سيدنا عيسى عليه السلام، كان مسالما محبا للخير، ونصوحا ومتسامحا، ومع مرور الوقت بدأ رجال الكنيسة ينحرفون عن طريق المسيح عليه السلام وبالتالي انحراف عن الديانة المسيحية الحقّة، ففهمت الدّيانة المسيحية عن طريق رجال الكنيسة علي أنها مصدر سلطة وطغيان، رغم أن الكهنة والقساوسة عامة كانوا لفترة يعانون من اضطهاد وتنكيل وقتل من طرف الإمبراطورية الرومانية، وفي هذه الفترة كان القساوسة يطالبون بمبدأ التَّسامح والتعاون معهم للكفَ عنهم هذا الطغيان، يعني اتّخذوا من مبدأ التسامح الديني كحل للخلاص من هذا الوضع السيئ.

وبعد استرجاعهم لقوتهم وبروز الكنيسة كقوة حاكمة آنذاك، نفوا جميع أقوالهم عن التسامح وكل هذا من أجل مصالح شخصية بحتة، من ثروات وسلطة حاكمة ونفوذ أكبر، بدل أن يكون نهجهم وهم في عز قوتهم كما كانوا يطالبون به وهم ضعفاء، فشاع في أوساطهم الفساد والبضخ وانحلال الأخلاقي وكذا الاستبداد.[1]

وذلك " في سبيل الحفاظ علي النفوذ وتوطيده كانوا على أتّم الاستعداد لاستخدام كل أساليب التنكيل، والاضطهاد لمن تسول له نفسه بالخروج عليهم، أو مخالفتهم، أو زعزعة الثقة في حكمهم وسلطاتهم فلم يهادنوا الخالفين، ولم يسامحوهم، وإنما نكلوا بهم من غير رفق ولا رحمة ولا هوادة، وأذاقوهم مرارة المخالفة."[2] بمعنى أن رجال الكنيسة قد استعملوا كل الطرق من أجل الحفاظ على السلطة والنفوذ.

وفي مجال الفلسفة نجد القديس أوغسطين يؤكد علي ما قيل سابقا يعني أنه كان من الفلاسفة المسيحيين الذين أسسوا ونظروا من أجل الدفاع عن الكنيسة، والتأكيد على سلطة رجالات الكنيسة، "وقد أحس أوغسطين بأن الكنيسة المسيحية الناهضة هي تلك السلطة التي كان يحتاج إليها العصر، وأنه لا بد من مذهب قطعي متماسك يصعد لمعاول النقد ويصلح أن يكون عقيدة ."[3] فهذا القول هو مجرد تبرير أوغسطين للكنيسة والقساوسة، وبأن ذلك

[1] أحمد علي عجيبة، البابوية وسيطرتها علي الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مطابع الشناوي ط1، طنطا، 1993، ص 38 .
[2] المرجع نفسه، ص ص 39,38 .
[3] كامل محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية ، ط1،بيروت، 1993 ،ص 38 .

الاضطهاد والتعسف ما هو إلا حب وغيرة عن دينهم، وكذا من أجل مصلحة شعبهم والوصول بهم إلي الخلاص .

ولذالك كتب أوغسطين (354– 330)الصديق له يقول :" لا تعارض بحجج قوية هائجة فيما لا يزال عسير الفهم عليك ...أو فيما يبدوا لك من الكتاب المقدس من تباين وتناقض بل من أجل وداعة لليوم الذي تفهمه فيه ... ! إن الإيمان يجب أن يسبق الفهم، لا تحاول أن تفهم لكي تؤمن بل آمن لكي تفهم "[1] هنا أوغسطين ينفي تشغيل العقل من أجل إبداع أو تحري عن الحقيقة وكذلك يكبح الإنسان لاستخدام عقله حتى لا يصل إلى الحقيقة التي دائما ما تكون منافية لتعاليم الكنيسة وهذا هو التعصب واللاتسامح بعينه.

2–الإسلامية:

إن الدين الإسلامي دين معاملة وتسامح وتآخي بين البشر, وكذا مع العقائد الأخرى، وهذا التعامل له منهاج قائم على التسامح لأنه فضيلة أخلاقية حضارية، تميز بها الدّين الإسلامي الذي اهتم ودعا إلى العناية الإنسانية وحقوق الإنسان التي تجمع بين بني البشر ولذلك نجد جملة من الحجج والأدلة للتسامح الدّيني الإسلامي واضحة ودقيقة جدا، ومن بينها الآية الكريمة من سورة البقرة :" لاَ إِكْرَاهَ في الدّين قد تَّبيّنَ الرُشدُ من الغَيّ، فَمَنْ يَكْفُرْ بالطّاغُوتِ ويُؤمِن بِالله فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بالْعُرْوَةِ الوُثْقى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَالله سَمِيعٌ عَليمٌ."[2]وهذه الآية جاءت لتبين حرية اختيار غير المسلم على اعتناق الإسلام، فان أرد أسلم، وان رفض بقى علي ملته ودينه .

كما يحرم الرسول صلي الله عليه وسلم :" الاعتداء على أموال أهل الذمّة، لا فرق في تحريم الاعتداء علي هذه الأموال بين أن تكون متقوّمة عند المسلمين، أو غير متقومّة كالخمر والخنزير، وهذه الحالة هي أعلى درجات التسامح، بأن "لا تضيّق على المخالفين فيما يعتقدون حِلّه في دينهم أو مذهبهم، وإن كنت تعتقد أنّه حرام في دينك أو مذهبك، وهذا ما كان عليه المسلمون مع المخالفين من أهل الذمّة، إذ ارتفعوا إلى درجة العليا من

[1] المرجع نفسه ،ص 43 .
[2] سورة البقرة، الآية 256.

التّسامح."[1] يعني أن الرسول صلي الله عليه وسلم احترم الدين المخالف للإسلام وعدم أهانته وتحريم كل أشكال الظلم والتعدي علي أموالهم سوءا كانت عند المسلمين أم غيرهم.

ولعل ابن رشد أحد مفكري الإسلام الذين أظهروا موقفهم من فكرة التّسامح من خلال دراستهم لقضايا نظرية ومنهجية، ويظهر جليا موقفه حول التسامح من خلال أراء الخصوم والمخالفين عندما يلوم الغزالي بعدم تفهم موقف الآخرين أو "الخصم" تحديدا ويحكم عليه بالفساد فيقول : "إن من العدل أن يقام بحجتهم في ذلك ويناب عنهم إذ لهم أن يحتجوا بها والضمير هنا يعود علي المعتزلة والفلاسفة الذين حَكم الغزالي علي آرائهم بالخطأ واتهمهم بالإتيان بالشناعات ." [2] إن من الخطأ أن نحكم علي أراء غيرنا بالفساد وعدم الأخذ بها وذالك لعدم صحتها, بل يجب أن نحترم آراء غيرنا مهماً كان نوعها.

وأضاف ابن رشد ليرتقي بمبدأ " التسامح" كقيمة أخلاقية تسموا إلى أعلى مقام ألا وهي مقام العدل فيقول : " ومن العدل كما يقول الحكيم أرسطو– أن يأتي الرجل من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي به لنفسه، أعني أن يجهد نفسه في طلب الحجج لخصومه كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه، و أن يتقبل لهم من الحجج النوع الذي يقبله لنفسه."[3] فيؤكد هنا أن على الإنسان أن يتقبل ويحترم الرأي الأخر وأن يحب لغيره ما يحب لنفسه، لنصل إلي مستوى التسامح الذي يسمو إلى العدل والذي يتضح من خلال قوله : "إن إعطاء أولوية لتوفير حق الغير : إن العدل يقتضي المساواة، أما إعطاء أولوية للغير داخل المساواة فذالك هو التسامح . " [4]يعني أن من حقوق الإنسان العدل، والعدل يكمن بتحقيق المساواة بين جميع الناس، و الغير تحقق أولويته من ضمن المساواة وهنا تحقق قيمة التسامح .

4– العصر الحديث :

[1] علاء الدين زكي ، التسامح الديني في الحضارة الإسلامية "الأديب أبو إسحاق الصابي (ت 384ه)أنموذجا " ، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الدولي الثاني :"حوار الحضارات والثقافات" ،2016، ص 3 .

[2] محمد عابد الجابري ، قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت، 1997 ، ص 22 .

[3] مرجع نفسه، ص 23 .

[4] محمد عابد الجابري ، قضايا الفكر المعاصر، المرجع السابق ، ص 31 .

عرفت القارة الأوروبية العديد من التطورات خاصة في الفترة التنويرية وذلك من خلال العديد من المجالات، بعدما عاشت فترة جد مزرية مليئة بالظلم والفساد والاضطهاد والتعصب بنوعيه الديني والسياسي، لكن برز جملة من المفكرين الذين أناروا هذه الفترة وذلك للخروج بحلول تحسن الوضع السابق، فكانت القيمة الأخلاقية ألا وهي " التسامح " هي الحل لصَدْ كل أشكال العنف والتعصب .

رأى جون لوك في خضم الوضع المتأزم ذو الصراعات من أجل الحكم، أن السبب الرئيسي لها هو الدين، وذلك اختلاف في الدين والعقيدة، فرأى أنها الفتيلة التي دائما ما تشعل الحروب وأن البيئة التي نماَ فيها جون لوك ساهمت في بناء فكرة التسامح، وكذا الأشخاص الذين تعلم منهم خاصة والداه اللذان كانا من عقيدة متسامحة، ولما تفطن جون لوك أن الاختلاف في الدّين هو السبب في هاته الصراعات الدامية واللامتناهية العنيفة تبنى فكرة التسامح في بناء مشروعه السياسي والإصلاحي في انجلترا، فرأى أنه يجب أن نتسامح مع العقائد الأخرى ماعدا الملحدين، فشمل كل الناس إلا الملحدين، ويتحقق عندما نفصل أمور الدين عن أمور السياسة فعَملْ الكنيسة يقتصر فقط بضرورة الهِدَاياَ، ومنع رجال كنيسة عن محاسبة الناس، فهنا جون لوك فصل الدين عن السياسة فالتسامح عنده : " هو العلامة المميزة للكنيسة الحقَّة ."[1] توضح هذه العبارة أن الحكم على عقائد وديانات غيرنا، دون معرفة ما هو الحق وما هو الصواب منها هو في حد ذاته سبب كافي ورئيسي لظهور العنف والاضطهاد والصراع بدون أدنى شك .

وكذلك بيير بايل المفكر الفرنسي الذي عاش التعصب الديني وعانى منه،نجده ساهم في بلورة فكرة التسامح لحل هذه المعاناة،" لقد كان بيير بايل مع الفيلسوف الانجليزي جون لوك أحد المفكرين الكبار الذين ساهموا في انبثاق التسامح الديني في أوروبا، وكان ذلك إبان

[1] جون لوك ، رسالة في التسامح ، تر: منى أبو سنه ، مجلس الأعلى للثقافة ، ط1، مصر، 1997، ص19.

احتدام الصراعات المذهبية بين البروتستانتيين والكاثوليكيين وكان أول منظر يدعوا إلي التسامح مع الجميع بمن فيهم الملاحدة ."[1]

ينتمي بيير بايل إلي المذهب الديني البروتستانتي، لكنه غير مذهبه عندما كان طالبا في المعهد اليسوعي إلي المذهب الكاثوليكي لكنه أدرك بأنه مخطئ فأراد العودة إلى مذهبه الأصلي وهذا ما أدي بحياته للخطر، ويظهر ذالك من خلال " أن لويس الرابع عشر كان يرفض أي ارتداد عن الكاثوليكية التي تشكل المذهب الرسمي للبلاد، وبالتالي أصبح الرجل مرتدا لأنه عاد إلي حضن الهرطقة من جديد ."[2] فالظروف الصعبة التي عاشها بيير بايل جعلته يصرح بمصطلح التسامح تجاوزا للتجربة التي عاشها آنذاك .

ولقد كان فولتير ثمرة هذين الفيلسوفين بتأثره الشديد بهما في تنظيرهما لقضية التسامح وهذا ما سنتناوله في فلسفة فولتير في التسامح وكيف بلور مفهومه وتبيان حدوده في الفصل التالي .

[1] هاشم صالح، التسامح والحرية الدينية في الفكر الأوروبي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، (د، ت)، ص3.
[2] مرجع نفسه ،ص ص 3- 4 .

# الفصل الثاني:

# تبلور مفهوم التسامح

# عند فولتير

**المبحث الأول :فولتير ومحاربة التعصب والإكراه في الدين**

**المبحث الثاني :تطور فكرة التسامح عند فولتير**

**المبحث الثالث :التسامح الكوني لفولتير .**

ولد في عصر التنوير نخبة من المفكرين والفلاسفة حيث لعبت فيه الظروف الاجتماعية والبيئية الدور الأساسي في إنتاجهم الفكري والفلسفي، فسادت الأفكار المستنيرة التي حررت العقول البشرية.

وفولتير أحد المفكرين الذين رهنوا حياتهم في سبيل الدفاع عن القيم الإنسانية للحضارة والتاريخ من أجل نشر التسامح والسلام، ومن أهم أعماله التي أدت في تطوير فكرة التسامح "رواية كانديد"1759 و"رسالة في التسامح "1763 و التي كان لها الأثر الكبير في المجال الديني والسياسي .

حصّل فولتير فكرا إصلاحيا وسياسيا ودينيا، من منطلق محيطه البيئي والاجتماعي الذي جعله يبدع في فكرته حول "مبدأ التسامح " ومن خلال محاربته للتعصب والإكراه في الدّين فجعلته متميزا في عصر الأنوار.

وعليه، في هذا الفصل سنتناول محاربة فولتير للتعصب والإكراه في الدين، ثم تطور فكره التسامحي، ثم سنتطرق لتسامح الكوني لفولتير.

**المبحث الأول :فولتير ومحاربة التعصب والإكراه في الدين**

فولتير من أهم المفكرين والفلاسفة الذين ذاعت شهرتهم في القارة الأوروبية، بسبب دعوته لأهم مبدأ إنساني "التسامح"، فقد نبذ فولتير كل أشكال التعصب والظلم والعنف وحاربها بكتاباته الشهيرة، التي أضحت محل المتذوقين والمطالبين بحقوق الإنسان وحفظها، فنجد فولتير يقر في عبارته الشهيرة :

« Je ne suis pas d'accord avec que vous dites, mais je suis prêt à me battre jus qu' à la mort pour votre droit à dire »[1]

فهو هنا صرح على أنه ليست متفقا تماما مع قولك (ماقلته يعني الطرف الأخر ) لكن مستعد لأن أدافع عن رأيك حتى الموت لأجل واجبك لأن تقول (حقك في التعبير )، فولتير اخترقت شهرته المجال الفرنسي وأصبحت شهرته عالمية وذلك بسبب أفكاره التنويرية ودفاعه عن مبدأ التسامح الذي كاد أن يمحى من قائمة الإنسانية .

اعتبرت كتاباته كحلقة متواصلة لسّير في هذه المعركة (معركة الدفاع عن التسامح)، فكان:"همه الأول أن يكتب بإيضاح وصراحة، ويعمل بقوة وغير هوادة كلما سنحت له فرصة للدفاع عن قضية الحرية الإنسانية، ففي قصصه وأحاديثه ونبذته ومصنفاته الكبيرة مثل القاموس الفلسفي – في هذه كلها تهجم على التعصب للرأي والعقيدة، وعدم التسامح، والظلم والإرهاق، والزعم بأن الإنسان حق الإساءة إلى جاره أو مواطنه بسبب مخالفته له في عقيدته أو دينيه أو جنسه"[2] يوضح فولتير بأن اختلاف إنسان مع أخيه الإنسان سواء في العقيدة أو الديانة أو الجنس لا يؤدي إلي الظلم والتعسف والتعصب بل يجب علينا أن نتقبل ونحترم الأخر مهما يكن، وأن ندعو إلى مبدأ التسامح .

[1] عبد القادر تومي ،وجوه الفلسفة ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والإشهار ،دط، 2009، ص96.
[2] سعيد حبيب، أعلام الفكر الفرنسي، دار الشرق والغرب للنشر، د ط، القاهرة، 1950،ص73.

فالتعصب لدى فولتير هو:"جنون ديني كئيب، فظ، وهو مرض يصيب العقل ويُعدِي كما يُعدِى الجدري، وتنقله الكتب اقل مما تنقله الاجتماعات والخطب، إذْ من النّادر أن يَحتدَ المرءُ وهو يقرأ لأن أعصابه تكونُ هادئة."[1] بمعنى أن الدين عند فولتير هو منبع التعصب، معتبرا الكنيسة هي العدو الأول والحقيقي، فكرس معظم أوقاته في مواجهتها .

وفي نظره أن المتعصبون هم " باردو الأعصاب وهم القضاة الذين يحكمون بالإعدام على من لا جريمة لهم سوى أنهم لا يفكرون على شاكلتهم، وهؤلاء القضاة يزيد في إجرامهم وفي كراهيتهم أنهم لا يصدرون إحكامهم وهم في سورة من الغضب."[2] ويقصد فولتير عائلة أل كلاس التي حكم عليها ظلما، على أب بالإعدام على الدولاب ونفي كل عائلتها، فالحكومة الفرنسية لم تكن منصفة في حكمها بل كانت ظالمة ومتعصبة، ولم تقر بمبدأ التسامح كقيمة إنسانية، لكن كان الفكر الفلسفي هو الدواء الوحيد لها الذي أدى إلى تهذيب وتلطيف أخلاق البشر.

"ويظهر لنا فولتير كيف أن كل الشعوب القديمة كانت تؤمن بالخرافات وأساطير وينتهي الي القول بأن هذه الخرافات والأساطير هي من صنع وابتكار القساوسة والكهنة."[3] حيث أن مهمة الكنيسة آنذاك هي محاسبة الناس يحسب إيمانهم بأساطير والخرافات المسيحية فيظهر من خلال أحكامهم كل أشكال الظلم والتعصب، لكن فولتير كرس حياته لمحاربة التعصب الديني في فرنسا خاصة وفي العالم عامة، حين"يزيد التزمت والإكراه في الدين عن حده أو عندما يعيث المتطرفون فسادا في الأرض."[4] هنا فولتير يمقت كل أنواع الفساد والظلم الذي يتسبب فيه البشر خاصة الكهنة علي وجه الخصوص.

[1] اندريه كريسون، فولتير ،حياته،أثاره،فلسفته،تر:صباح محي الدين، منشورات عويدات بيروت، ط2، باريس، 1984،ص ص 122 .123

[2] مرجع نفسه، ص 123.

[3] ول ديورانت، قصة الفلسفة، تر:فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط6، بيروت، 1988، ص 298.

[4] هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة ، ط1، بيروت، 2005، ص 215.

رأى فولتير بأن "الاختلافات البسيطة في علم اللاهوت هي التي سببت هذا النزاع المرير والحروب الدينية، ليس الشعب البسيط العادي الذي أثار هذه الخلافات السخيفة المميتة مصدر الخوف والرعب الشديد أنهم الكهنة الذين يعيشون علي كدِكم وتعبِكم في راحة وكسل ويثْرون على حساب كدحكم وبؤسكم."[1] يقصد بأن القساوسة والكهنة استغلوا هذا الاختلاف للهيمنة وعيش حياة الرفاهية والبذخ، على حساب الطبقة الضعيفة، حاول فولتير تحرير العقول الخاضعة لمعتقدات المسيحية التي تزعم نفسها أنها على الحق.

أيضا "نزل فولتير إلي ساحة المعركة مدافعا عن كل المضطهدين لسبب عقائدي أو فكري وهو هكذا دافع عن البروتستانتيين، وهو كاثوليكي أبا عن جد، وخاطر بحياته في بعض الفترات".[2] هنا فولتير جاء ضد مذهبه من أجل الدفاع عن المضطهدين المظلومين الذين تلقوا معاملة قاسية لمجرد انتمائهم إلى مذهب آخر ذلك للحفاظ عن قضايا الحق والعدل ونشر مبادئ الإنسانية ونشر التسامح والسلام.

تعد قضية أل كلاس هي الفتيلة الأولى التي أدت لظهور الظلم والعنف والتعصب أحدثت ضجة كبيرة شغلت بال الشعب الفرنسي آنذاك، " اتُهم الأب جان كلاس بأنه قتل ابنه أنطوان لأن هذا الأخير أراد تحويل مذهبه واعتناق المذهب الكاثوليكي، وهاجت عامة الشعب في مدينة تولوز، وطالبوا بمحاكمة الرجل أو ذبحه فورا، وتأثر القضاة بهيجان الشارع وغليان المشاعر الطائفية الحامية لدى الأغلبية الكاثوليكية فأصدروا حكما متسرعا بتعذيبه على الدولاب وكسر عظامه حتى الموت حتى يعترف بجريمة لم يرتكبها."[3] إن الحكومة الفرنسية أصرت على اتهام جان كلاس حول ارتكابه هاته الجريمة وتلقينه أشد وأعنف أنواع التعذيب رغم كبر سنه، وبعد ذلك اكتشفت محاكم لتفتيش بأن "الرجل بريءٌ تماما من التهمة، فخافوا من الفضيحة وتدخلت السلطات العليا لخنق الموضوع فلا ينتشر ولكنه انتشر

[1] ول ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 298.
[2] هاشم صالح، مدخل التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص 215.
[3] المرجع نفسه، ص 216.

على الرغم من كل شيء."[1] هذه القضية قد وصلت أصداؤها إلى فولتير فدافع عن عائلة أل كلاس المتهم تعسفا بقتل ابنه وهو من عائلة بروتستانتية أراد اعتناق الكاثوليكية، وقد نجح فولتير في تبرئته بالبراهين والأدلة القاطعة لتجاوز مستنقعات التعصب الديني وظلم الحكومة الفرنسية .

ومن منطلق هذه الحادثة كتب فولتير أهم مؤلف له" رسالة في التسامح "، ليكون لها صدى داخل فرنسا وخارجها فأصبحت رسالة عالمية، تهدف إلى التسامح والسلام والقضاء على كل أشكال التعصب والاضطهاد والظلم باسم الدين، وتحرير العقول التي كانت حبيسة الخرافات وإخراجها إلى النور الفكري، "ويضع سبينوزا موضوع الرسالة في العنوان الذي يصنعه بعد العنوان الأول" وفيها تتم البرهنة على أن حرية التفلسف لا تمثل خطرا على التقوى أو على السلام في الدولة، بل إن القضاء عليها يؤدي إلى ضياع السلام والتقوى ذاته"[2] يتفق فولتير مع سبينوزا بأن العقل هو أداة التحرر والسلام، وأنه هو الأساس الذي تقوم عليه الدولة، لذلك يجب على العقل أن يسيطر ليحد من الخرافة والأساطير.

ولكن لم تمر فترة قصيرة " حتى ارتكب الأصوليون الكاثوليكيون حماقة أخرى، لا تقل شناعة وهولاً، وهي مشهورة باسم "دولابار" وملخصها ما يلي: في التاسع من شهر آب \ أغسطس 1765 حصلت حادثة غريبة في إحدى المدن الفرنسية الصغيرة، فعندما استفاقت المدينة وجدت الصليب خشبي المعلق على الجسر وقد بتر أحد أضلاعه."[3] وفي هذا قد مارس الشعب الفرنسي مسيرة دينية وصولا إلى الجسر وذالك طلبا من الله المغفرة والعفو وهذا كله طلبا من مطران المنطقة « فاكتشفوا أن التمثال المسيح في المقبرة قد لوث

[1] هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي،المرجع السابق ، ص 216.
[2] سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن الحنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، بيروت، 2005، ص 13.
[3] هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص 217.

بالقاذورات » .[1] فهنا كانت جُلْ الاتهامات إلى فرقة من الشباب المراهقين الذين ينتمون لأرقى عائلات المدينة، غايتهم المتعة والتسلية واللهو فقط، ومن بين هؤلاء الشباب شاب يسمى جان فرانسوا لوفيفر « الملقب بالفارس دولابار، كان يتيم الأبوين، ولذلك تلقّته عمته رئيسة الدير وأسكنته في البناء الملحق بالدير، وبما أن بعض الأعيان المدينة كانوا يريدون الانتقام من عائلته لأسباب مادية أو لخلافات قديمة لا علاقة لها بالإيمان أو بالدين فان الأنظار تركزت عليه.» [2] فبرغم من براءته نسبت إليه الاتهامات وأقاموا بإدانته وذلك لتبرير الحادثة كلها، ومن هذا فانه قد وجدت مجموعة من الكتب في إحدى غرفه معظمها كانت عن النساء والغزل ولكن كان هناك كتاب أخر وهو "القاموس الفلسفي" لفولتير وهذا ما جعلهم يعتقدون بأنه غير مؤمن فزاد من قوة الاتهام له، "فطالبوا بتقطيع أوصاله وحرقه لأن مجرد وجوده على سطح الأرض يعتبر تدنيسا للطهارة المسيحية."[3] هذه الحادثة جعلت من فولتير يعيش حالة هلع ورعب، لأنه وجد قاموسه الفلسفي لدى فرانسوا لوفيفر مما أدى إلى توريطه وأنه قد أفسد الشباب الفرنسي، فاختفى كليا عن الأنظار لكن هذا لم يطل كثيرا.

نجد فواتير يذكر في كتابه " رسالة في التسامح" الذي ذكر فيه العديد من الشعوب عرفت مبدأ التسامح ومن بينها الرومان وهذا ما ورد في الفصل الثامن من رسالته بقوله:" إن الرومان كانوا متسامحين إلى أبعد الحدود مادامت تلك الأقوال لم تقابل بأي نفور أو تذمر"[4]

يرى فولتير بأن " الكنيسة اخترعت التعصب وزرعت بذور التفرقة والخلاف في كل مكان وشنّت الحرب على المنشقين والهراطقة، والبروتستانت واليهود والمفكرين الأحرار، وأذاقتهم الاضطهاد وأهلكت آلاف البشر فكانت من أعظم المصائب التي عرفتها الإنسانية."[5] فهي التي أشعلت نار الظلم والفتنة وجعلت من البشر محتجزين داخل قوقعتها وبثت فيهم أفكارها

[1] هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق ، ص 217.
[2] المرجع نفسه ، ص 217.
[3] المرجع نفسه، ص 218.
[4] فولتير، رسالة في التسامح، تر: هنريت عبودي، دار بترا للنشر، ط1، سوريا، 2009، ص 54.
[4] فولتير، حياته، آثاره، فلسفته، مرجع السابق، ص 52.

ومعتقداتها، لذا وجه فولتير كل أقلامه نحوها لمواجهتها والدفاع عن الحرية الفكرية وتحرير العقول وإخراجها من ظلمة الكنيسة إلى نور العقل.

يقول فولتير:" لا، حقا لا يمكن ولا يجب الاعتقاد بأساطير المسيحية وعقائدها، فالدين المسيحي نسيج من السخافات والكذب."[1]هذا تصريح مباشر بأن الدّين المسيحي ممتزج بالخرافات والأساطير التي قيدت البشر، وذلك من طرف القساوسة والكهنة للحصول على النفوذ والعيش برفاهية، لكن فولتير وقف في وجهها، فهو " يستهجن أكثر ما يستهجن التعصب الديني، فهو يرى أنه يجب أن يكون لكل إنسان الحق في أن يرى رأيه في هذه القضايا وأن يمارس الطقوس التي تلاؤمه، وأن يعبد الله على طريقته على شرط أن يحترم دين الآخرين."[2] معنى هذا أنه يجب الاحترام والقبول المتبادل بين الأفراد والجماعات وعدم أخذ الاختلاف في الآراء والمعتقدات ذريعة للنزاعات والصراعات التي تدمر المجتمعات وتفقدها سلامها وأمنها، لذا يجب علينا أن نستعين بلغة التسامح والتفاهم .

إن التعصب مذموم ومدمر للمجتمعات، خاصة أن فولتير رأى أن الشعب الفرنسي آنذاك قد سيطرت عليه الكنيسة التي أحلّت التعصب والظلم والاضطهاد، فجعلتهم يعيشون الخوف لكن لم يَطُل هذا كثيرا بفضل جهود فولتير ووعي الشعب، بعد أن كانت أفكار الكنيسة مسيطرة آنذاك على العقل الإنساني، والذي دافع عن القيم الإنسانية للحفاظ على أمن الشعب الفرنسي خاصة، ونفى التعصب لأنه سلوك همجي فقال:"ولو استعرضنا جميع الشرور التي تسببت فيها الحميّة الدينية الكاذبة، لأدركنا أن البشر عاشوا طويلا جحيمهم في هذه الدنيا."[3] يعنى أن هناك أقاويل وأكاذيب باسم الدّين جعلت من الأفراد يعيشون حياة البؤس والظلم لذا فولتير دعا الفرنسيين أن يكونوا أخوة ومتحابين ومتسامحين رغم الاختلاف، ونبذ العنف وكل أشكال التعصب من أجل التسامح والتآخير.

[1]فولتير، حياته، آثاره، فلسفته، مرجع السابق، ص ص 52- 53.
[2]اندريه كريسون، فولتير، حياته، أثاره، فلسفته، مرجع سابق، ص 87.
[3]فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 83.

**المبحث الثاني: تطور فكرة التسامح عند فولتير.**

كتب فولتير مجموعة من الكتب والمقالات حول بعض التجارب أو الحماقات التي ارتكبت,والتي سالت فيها الدماء كثيرة بعضها أدت إلى المقصلة وبعضها الأخر إلى المعارك، والتي أدت بفولتير إلى الدعوة إلى "مبدأ التسامح" والدفاع عنه وتطويره وجعله رسالة عالمية، إن خطاب فولتير للتسامح لم يكن من فراغ بل من خلال مجموعة من الوقائع والتجارب التي أدت إلى تطور مفهوم التسامح عنده.

ومن أهم أعماله "رواية الكانديد" (1759) والتي كان لها الدّور الكبير في تطوير فكرة التسامح فكانت تدور أحداثها حول كانديد الذي عاش في قصر بارون ويستفالي بجانب أستاذه بانغلوس الذي رسخ لكانديد " فكرة أن كل شيء يسير نحو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة."[1] يعنى أن بانغلوس لقنا تلميذه كانديد أن العالم متفائل ويسير نحو الأفضل ويدعوا إلى الخير،" أحب كانديد ابنة البارون الجميلة كونيغوند فضُرب بالعصا بسبب ذلك وطرد من القصر، ثم انخرط رغم أنفه في جيش البلغار، ولكنه ما لبث أن هرب إلى هولندا حيث التقى بمعلمه الفيلسوف بانغلوس الذي كان في حالة سيئة جدا."[2] فهنا كانديد خلال التقائه بمعلمه المريض الذي أخبره بكل ما حدث معه كيف قُتلت كونغوند وعائلتها كلها من قبل جيش البلغار.

وأبحر كل من بانغلوس وكانديد إلى لشبونة فتعرضوا لعاصفة قوية، والتي ضربت القارب ثم الزلزال المدمر، ومن خلال هذه الظروف، ناقش بانغلوس فلسفته في محاكم التفتيش البرتغالية مما أدى بالحكم عليهم بالإعدام " لم يكن كانديد قد استعاد قواه بعد, لكنه تبع العجوز إلى كوخ : فأعطته مرهما كي يفرك به جسمه، وطعاما وشرابا، وأرته سريرا صغيرا نظيفا جدا، وكان يوجد قربه لباس كامل." [3] فقد لقي كانديد اهتماما وعطفا كبيرا من السيدة

[1]فولتير، كانديد أو التفاؤل، عربي-فرنسي، ترك أنا –ماريا شقير، دار مكتبة الهلال ودار البحار، ط1، بيروت، 2005، ص 16.
[2]المصدر نفسه، ص 16.
[3]المصدر نفسه، ص 72.

العجوز التي اعتنت به ووفرت له كل سبل الراحة لكي يسترجع قوته من جديد، وبعد عدة أيام أخذته إلي قرية تبعد حوالي ربع ميل لبيت صغير معزول تركته فيه، ورحلت لكنها ظهرت من جديد ومعها امرأة، والصدفة الأكبر أن تلك المرأة كانت الآنسة كونيغوند، لقد هاجم فولتير في روايته كانديد أو التفاؤل وذالك من خلال ذكره لكل تلك الشرور التي عاشها كانديد في هاته الرواية، والتي تعددت من زلزال لشبونة والإكراه والمرض والنفي وغرق السفينة، والشيء الآخر والأهم هو معاملات الناس كنفيه وضربه لمجرد أنه أحب ابنة البارون وهذا ما جعل فولتير يشير إلى هذا النفي لأنه هو كذالك تعرض للنفي لمجرد أنه قام بالدفاع عن الحرية والحق والابتعاد عن التعصب.

أهم نقطة توصل إليها فولتير فكرة الخير والشر قد ينعكس دوروهما أحيانا، فالخير يؤدي إلى الشر تارة، والشر يؤدي للخير تارة أخرى، فخير مثال أن الحب والذي يعتبرُ خيرا ورمزا للتسامح والمحبة وهو سلوك لطيف إلا أنه أدى بكانديد إلى الظلم والنفي...وهذا ما أثبته كانديد في تصريحه بأنه:" قد عرف هذا الحب، ملك القلوب، وروح رُوحنا ولم يكلفني سوى قبلة وعشرين ضربة على مؤخرتي, كيف استطاع هذا السبب الرائع أن يؤدي إلي نتيجة رديئة إلى هذه الدرجة؟ "[1] فهنا قد انعكس دور الخير برجوعه شرا بالرغم من أنه سلوك لطيف، نجد فولتير من خلال مؤلفه أنه قام بتثبيط ونفي كل الشرور والتي تم تصويرها من خلال كل أحداث هاته الرواية التي تعرض لها كانديد وكونيغوند، هذه الأحداث دفعت فولتير وهو أحد مفكري عصر التنوير لتبادل الرسائل حول معضلة الشر لأن العالم قاسٍ جدا لأن البشر، يبحثون عن منافعهم الشخصية وهذا ما نتج عنه الانحلال الأخلاقي .

ويبيّن فولتير أن الدين المسيحي الذي يدعوا إلى الخير قد أدى إلى الشر ألا وهو التعصب الديني، وأيضا الشر أي تعصب أدى إلي الخير ألا وهو بروز مبدأ التسامح والدفاع عنه.

[1] فولتير، الكانديد أو التفاؤل، مصدر سابق، ص 52.

دعا فولتير إلى إحلال التسامح ونبذ كل أشكال التعصب، وذلك لنشر السلام في المجتمعات فخصّص رسالة بعنوان "رسالة في التسامح" والذي يدعوا من خلاله إلى التسامح الديني ليشمل التسامح السياسي والاجتماعي، انطلاقا بالاعتراف بالآخر والتعايش معه في ظل حرية العقيدة وحرية التعبير، وأشهر عبارة التي كان لها الصدى الواسع في المجتمع الفرنسي والمجتمعات الأخرى بقوله:"اسحقوا العار"[1] ويقصد فولتير هنا تلك المعاملات السيئة التي مارستها الحكومة ورجال الدين، خاصة في فرنسا والتي عمل فولتير جاهدا للحدّ منها.

توجد عبارتان لفولتير واحدة للتسامح وأخرى للقضاء على التعصب، الأولى :"قد أختلف معك في الرأي، ولكني علي استعداد لأن أموت دفاعا عن رأيك."[2] فالتسامح لدي فولتير يعني الاعتراف بالطرف الآخر والدعوة إلى حرية التعبير وحرية العقيدة، لأنه يعد حق بتعدد طرف الحقيقة، أما العبارة الثانية والتي تنصب في توجه المسيحية المتعصبة، خاصة تصورات رجال الدين, التي لا تخلو من المغالطات والنزعات المصلحية، يقول فولتير: "وحدّوا أنفسكم واقهروا التعصب والأوغاد، واقضوا على الخطب المضللة والسفسطة المخزية والتاريخ الكاذب...لا تتركوا الجهل يخْضعُ العلم، سيَدِينُ لنا الجيل الجديد بعقله وحريته.»[3] هذا تصريح مباشر بمواجهة والقضاء على كل أشكال التعصب، وتحريك روح الشعب الفرنسي ضد رجال الكنيسة والقساوسة لنشر القيم الإنسانية والأخلاقية والتسامح والسلام .

[1] https : \\www .voltairenet .org.14 :14, 04-05-2020.
[2] كمال طريشي، فلسفة الاختلاف والتسامح، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، 2015.
[3] ول ديورات، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 296.

إن الأسباب التي قادت فولتير لمحاربة التعصب وأشكاله في فرنسا هي زيارته إلى انجلترا،جعلته يدرك أنها تتمتع بالحرية عكس فرنسا، التي تعيش التعصب الديني وكذا زيارته لألمانيا، فقد عزّز فريدريكّ التسامح الديني في أرجاء مملكته، فكانت هاتين الزيارتين منبع تحرير فولتير لكتب كثيرة يدافع فيها عن الحريات الإنسانية، كحرية العقيدة، وكذا قضية "آل كلاس" التي أحدثت ضجة كبيرة في المجتمع الفرنسي المتعرضة للظلم والعنف.

لقد طرح الفيلسوف الانجليزي جون لوك في رسالته في التسامح سنة1689 وكذا الفيلسوف الفرنسي فرانسوا ماري أرويه كذلك في رسالة تحمل نفس العنوان سنة 1763 بجدية مسألة التسامح، حيث ناقش فولتير التسامح بما يمثله من إشكالية في فرنسا فوجد اختلاف فكري وإيديولوجي ومذهبي، فقد كانت أفكار جون لوك وبير بايل آنذاك تتمتع بالمصداقية، لذا كان"كتاب فولتير مستلهم من هاتين السابقتين اللامعتين ويتفق تماما مع المفهوم القائل بأنه: " لا بد أن يسمح لكل مواطن بأن لا يتصرف إلا بعقله، وأن يعتقد فقط بما يمليه عليه هذا العقل، سواء أكان مستنيرا أم جاهلا."[1]فالتسامح عند فولتير يكمن في حرية العقل، يعني حرية التفكير ولكل منّا أفكاره وتصوراته، لذا يجب عليه التعبير عنها مهما كانت سواءًا صحيحة أو خاطئة، ولكل شخص الحق في حرية التفكير والدّين، حتى أنه يشمل حرية تغيير ديانتيه أو عقيدته فقد "وصف بريطانيا بأنها فيها أفراد له آراؤه الخاصة وحريته المميزة."[2] لأن حرية التعبير ترتبط مباشرة بواجب التعبير، وكذلك تحرير العقول من الخرافة والتعصب، كانت كل الشعوب تسلم بالخرافات والأساطير لأن الكنيسة هي التي وضعتها بالأخص القساوسة ورجال الدّين داخل المجتمع الفرنسي الذي سيطرت عليه الكنيسة والتي يحاول فولتير التخلص من أفكارها القديمة والتي من خلالها نتج التعصب والاضطهاد والظلم بين الناس.

[1]مايكل أنجلو كوبوتشي، أعداء الحوارأسباب اللاتسامح ومظاهره،تر:عبد الفتاح حسن، الهيئة المصرية العامة، د ط،القاهرة،2010،ص459

[2].خالص جلبي،مبدأ فولتير وسقف الحريات،(23نوفمبر2005)،(5-04-2020)،12:49، https://www voltairenet .org /articl131426html

إن الدين هو السبب الرئيسي المؤدي إلى التعصب "" يُؤَكد أنّ الدّين منبع أولي من منابع اللاتسامح وأن أيضا أشكال اللاتسامح مثل الكراهية الأجانب، والعنصرية والاضطهاد، التي تبدو من أول وهلة أنها لا ترتبط بالعامل الدّيني، مرتبطة به أو بديلة عنه."[1] فالدّين يوّلد أشكال متعددة من المعاملات والتصرفات تؤدي بالإنسان إلي تبنيها والخوض في حياة لا متسامحة ومتعصبة.

الاختلاف في العقائد سبب في انتشار التعصب فقد" كتب سلمان رشدّي عن التعصب الدّيني الذي أصبح خطرا في حياته فقال: مهما كانت الديانة التي بيدها مقاليد الأمور، فسوف تتفق دائما وأبدا عن لا تسامح"[2] فلكل ديانة ملامح مختلفة ومميزة عن باقي الديانات هذا يؤدي إلى تنوع اللاتسامح الذي يجعلهم يمارسونه للحفاظ على اللبنة الأولى لديانتهم ومصالحهم الشخصية، التي ولدّت التعصب الدّيني.

حاول فولتير القضاء على الخرافة لأنها قيّدت العقول، وكذا أيضا القضاء على التعصب بنشر مبدأ التسامح لتحريرها، فالتسامح يتمثل في الروح الفلسفية : « لا يوجد علاج لهذا الدّاء المعدي إلاّ الروح الفلسفية التي بانتشارها شيئا فشيئا تهذب أخلاق الناس وتحذر من التطرف، لا تكفي القوانين والدّين ضد طاعون النفوس هذا، فالدّين ليس لها زادا شافيا، بل يتحول إلى سم في الرؤوس المريضة.[3] » فهنا فولتير دعا لتحرير العقول من قيد الخرافة والأساطير وتنويرها بالأفكار الجديدة النافعة لتحسين سلوك الناس والابتعاد عن السلوكيات الذّميمة التي تجعل من الإنسان متعصب.

فيقول فولتير: " أن الخرافة بالنسبة إلى الدّين لهي كالتنجيم بالنسبة إلى علم الفلك، أو فلنقل أنّها البنت المجنونة لأم حكيمة، ولطالما طّوعت هاتان المرأتان العالم بأسره."[4] أضحت

[1] مايكل أنجلو ياكوبوتشي، أعداء الحوار- أسباب اللاتسامح ومظاهره، مرجع سابق، ص 54.
[2] المرجع نفسه، ص 55.
[3] حسن الحنفي، قاموس الفلسفي، دط,دس، د ب، ص 81.
[4] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 153.

الخرافة شديدة الخطورة مما دفعت فولتير للقيام بأفكار تنويرية متسامحة لبناء مجتمع أخلاقي ومتسامح يدعم حرية التفكير.

تعد الكنيسة " العدو الحقيقي في نظر فولتير لذلك احْتلت حربه على الأباطير والخرافات والأحكام المسبقة المرتبطة بالدّين والتي لخصها فولتير في عبارة واحدة هي ( الوحش الضاري) احْتلت مرتبة الصدارة في صراعه وكفاحه الفكري الجديد، حيث كان يُنفق كل جهده ووقته لمواجهة الكنيسة"[1] فولتير لم يَهْدَأْ له البال حتى واجه كل ما يفسد القيم الإنسانية التي جعلت من الإنسان كالوحش، وعليه يجب على الكنيسة أن تتخلى عن تصوراتها الكلاسيكية التي أدت بالإنسان إلى الهلاك .

المصلحة الشخصية سبب في وجود التعصب، جعلت رجال الدّين يتخذون أية وسيلة فقط من أجل الوصول إلي السلطة والحكم" فارتباط اللاتسامح ذي المحرك الدّيني بعوامل اجتماعية وسياسية فعندما يقوم الدّين علي مسلمات يبلغ اللاتسامح ذروته، لأنه في هذه الحالة لن تكفي الطاعة المطلقة لتعاليم الدّين من قبل المؤمنين، ولكن يكون المطلوب هو الممارسة سلطان علي نفس المؤمنين والسيطرة علي ضمائرهم وطريقة تفكيرهم[2]" مما يعني أن رجال الدّين وضعوا فكرة العقاب الإلهي لتخويف الناس وجعلهم تحت سيطرة الكنيسة والأخذ بكل ما تنُصه من أفكار وتشريعات، هذا ما جعل الشعب الفرنسي يرفض الأفكار التنويرية فأضحوا مقيدين بالتصورات القديمة.

والنقطة المهمة أو السبب الأهم أن جملة الديانات تقوم على أساس الأنانية، وهي حب الإنسان لنفسه للسيطرة والتملك، فتجعله لا يرى سوى نفسه ولا يهتم إلا بشخصه، فكل ديانة ترى نفسها أنّها على صواب وأنّها هي الأصح والأصدّق وترفض الطرف الأخر وتنفيه تماما وهذا تعصب بعينه، فولتير يرى أن التعصب الدّيني هو مشكلة ومسألة داخلية تخص فرنسا

[1] نقلا عن، **مسدوة وهيبة**، خطاب التسامح في فكر الأنوار، (رسالة ماجستير منشورة)، مرجع سابق ،ص 115.
[2] مايكل أنجلو باكوبوتشي، أعداء الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، مرجع سابق، ص 61.

وحدها عكس انجلترا وألمانيا اللتان تتمتعان بالتسامح وحرية التفكير لكل الطبقات، لذا يعمل للحد من التعصب وتحرير العقول لتسود الأخلاق والتسامح لأن" اللاتسامح عبارة عن سلوك عدواني وعنيف، ولكنه لا يُعرف فقط بالعدوانية والعنف، فهو مخالف لذالك بل وأكثر منه."[1] لذا فولتير يدافع عن مبدأ التسامح ليتعايش الناس في سلام داخل المجتمع متسامح وسلمي وان يتكاتفوا فيما بينهم وكأنهم جسد واحد، وجعل من التسامح تسامح عاما وعالميا بين البشر جميعا باعتباره قيمة إنسانية يجب أن تسود العالم كله، وشجب التعصب الدّيني وإعادة بناء الدّين علي أساس عقلي والقضاء علي الأسطورة فرفض عقيدة العناية الإلهية التي تدور حولها الديانة المسيحية ومالت إلى رفض كل ما يتعارض مع المنفعة في السلوكيات وتصرفات الإنسان أو ما يتعارض مع الأخلاق في مجال العلاقات الإنسانية.

فولتير هو أكثر فلاسفة الأنوار دفاعا عن مبدأ التسامح ونشر السلام والخير ليكوّن مجتمعات تتعايش فيها جميع الطوائف الدّينية طبقا لاحترام حقوق الإنسان ومنحه الحرية في ممارسة معتقداته وحريته في التعبير عن أرائه، كان هدفه ليس الدفاع عن عائلة آل كلاس وحدها، بل نشر رسالة عالمية وتحقيق تسامح عالمي بين البشر باعتبارهم إخوة.

فصرّح فولتير بأنه " لم يكن في حاجة إلي حذق كبير أو بلاغة متكفلة كيما أثبت أن على المسيحيين إن يكونوا متسامحين فيما بينهم، غير أني سأذهب إلي أبعد من ذالك فأدعوكم إلي اعتبار البشر جميعا إخوة لك، ماذا قد تجيبون ; أيكون التركي شقيقي؟ والصيني شقيقي؟ واليهودي؟ والسيامي؟ أجل بلا ريب أفلسنا جميعا أبناء أب واحد ومخلوقات اله واحد ؟ " [2] إن اسم فولتير أصبح رمزا يستنجد به كافة الناس في كل مناطق العالم لدفاع عن القيم الأخلاقية وأهمها" مبدأ التسامح" لذا " نزَل إلى ساحة المعركة مدافعا عن كل المضطهدين لسبب عقائدي أو فكري وهكذا دافع عن *البروتستانتيين، وهو *كاثوليكي أبًا

[1] ما يكل أنجلو ياكوبوتشي، أعداء الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، مرجع سابق، ص 34.
[2] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 163.

عن جد، وخاطر بحياته في بعض الفترات[1] » ركّز فولتير على الدفاع وحماية الحريات المدنية، خاصة حرية العقيدة وكرامة الإنسان من أولويات فولتير، ليحقق مجتمع متسامح يسوده الأمن والأمان.

والتسامح في اصطلاحات فولتير وغيره من فلاسفة القرن 18م هو: " ما يَتصفُ به الإنسان من ظرف، وأنس، وأدب، تمكنه من معايشة الناس رغم اختلاف أرائهم عن أرائه.[2]"فمعنى التسامح هو التعايش السلمي بين الأديان والمذاهب الأخرى المختلفة عكس مصطلح اللاتسامح والذي يعني" الافتقار إلى التسامح في جوهرها المتمثل في الانغلاق التام تجاه الأخر، فهي ظاهرة متعسفة، قديمة قدم الإنسان، وبالتالي يمكن فهمها بالغريزة " [3] ومن هنا إن اللاتسامح هو حالة طبيعة يعني إن التعصب غريزة فالإنسان تتحكم فيه جملة من الغرائز، لذا فهو يعتبر بأن يتعلم أو يكتسب أشياء جديدة، لأنه يرى نفسه بأن كل ما يعتقده من تصورات وأفكار هي صحيحة وغيره هو الخطأ دون تحاور معه، وهذا يدّل علي الجهل والأنانية لأنه أدى إلى التعصب والظلم.

كما يعرف الإنسان اللامتسامح بأنّ " سلوكه عدواني وعنيف، لكنّه لا يُعّرف فقط بالعدوانية والعنف، فهو مخالف لذالك بل وأكثر منه ".[4] فسلوكيات العدوانية والتي تأخذ شكل العنف والظلم تؤدي إلي حالة متعصبة وغير متسامحة وهذه تقضي على التسامح لذا فهي

[1] هاشم صالح، مدخل إلي التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص 215.

*البروتستانت: هي مذهب ثاني أكبر المذاهب المسيحية أتباعا، حيث يقدّر عدد من يدينون به حول العالم بنحو 800 مليون، كما أنه الأكثر انقساما بين عدة كنائس ومذاهب، بدأ المذهب مع حركة (مارتن لوثر) وهي حركة لم تكن تقصد إلي رفض الكاثوليكية برمّيتها وإنما سعت الي الإصلاح من داخل الهيكل الكنسي.

* الكاثوليك: لغة- كلمة مشتقة من أصل يوناني تعني« عام » أو« جامع » أطلقت تاريخيا علي أتباع كنيسة روما، في الشرق والغرب، لكن بعد الانقسام الكبير، احتفظت الكنيسة الشرقية لقب أل« أرثوذكس » بمعنى« الإيمان القويم » وينسب الكاثوليك كنيستهم إلي القديس بطرس الرسول، تلميذ المسيح الذي صلبه نيرون الإمبراطور الروماني في العقد السابع ميلاديا.( www . id2at . com. .11 :53 , 04 -05-2020. https:\\)

[2] جميل صليبا، معجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، ج1، دار كتاب اللبناني ، بيروت، دط، 1982، ص 271.

[3] مايكل أنجلوياكوبوتشي، أعداء الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، مرجع سابق، ص 34.

[4] المرجع نفسه، ص 34.

مرفوضة تماما، لأن فولتير يسعى دوما للتحدي والحفاظ على مبدأ التسامح كقيمة أخلاقية وإنسانية بالدرجة الأولى .

إن " اللامتسامح هو إنسان عاجز عن النقاش، يفكر ويتكلم بمفرده، دون أي حوار."[1]هنا يؤدي إلى الابتعاد عن الفضائل والقيم الإنسانية والأخلاقية، فالتسامح هو إحدى هاته القيم وهو ناتج عن التربية أولا ثم الثقافة ثانيا, فالإنسان حين يتعلم ألاّ يقترب إلى المحرمات فيجب عليه أيضا أن يتعلم الأخلاق الحميدة، كالتسامح والعفو والمحبة والتآزر التي تجعل من المجتمعات متآلفة فيما بينها.

والجوهر الأساسي لنفهم الفرق بين المتسامحين واللامتسامحين هو:« أن اللامتسامحين يضغطون على الزناد بسهولة، لا يتركون أنفسهم يتأثرون بأحاديث قد تضعف من تصميمهم بينما المتسامحون على الرغم من كونهم ليسوا مستعدين لقبول أي عوج، يفكرون مرتين قبل إطلاق النار »[2] وهنا يظهر الفارق الوحيد أن اللامتسامحين متسرعون في أحكامهم وأفكارهم مما جعلها أحكام عنيفة، أما المتسامحون يستخدمون عقولهم في التفكير لسلامتهم وسلامة غيرهم وهذا ما قلدهم إلى التسامح وتميزهم عن غيرهم.

فولتير رائد التنوير والعقلانية، والمعروف بدفاعه عن قيمة التسامح فقد خصصّ مؤلف كامل من مؤلفاته لنشره، لأنه يرفض تماما كل أشكال العنف والظلم والاضطهاد لأن هذا يؤدي إلى التعصب بأنواعه، وأكبر مثال دفاعه عن "عائلة آل كلاس" الفرنسية التي تعرضت لظلم من قبل الحكومة الفرنسية ورجال الدّين وهذا بسبب انتحار ابنهم فقد كلفت هذه الجريمة تعذيب وقتل الأب على الدولاب ونفي باقي أسرته، استهل فولتير في مؤلفه" رسالة في التسامح" بالحديث مطولا عن هاته الجريمة الشنعاء عن مصرع جان كلاس جراء سيادة التعصب الدّيني المذهبي الذي أثار في نفس فولتير الاشمئزاز والقرف والتي راح ضحيتها

[1]مايكل أنجلو ياكوبوتشي، أعداء الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، مرجع سابق، ص 35.
[2]المرجع نفسه، ص 48.

تعذيب الأب حتى الموت بسبب اتهمه بقتل ابنه عندما أراد أن يتحول إلى المذهب الكاثوليكي ونفي زوجته وابنتيه, فقد تبنى فولتير قضيته ونحج في تبرئته سنة (1765م).

قدّم فولتير العديد من الأمثلة لشعوب عاشت التسامح والتعايش السلمي في كتابه" رسالة في التسامح" ففي الفصل السابع تكلم فولتير عن الإغريق انطلاقا من قصة سقراط الذي تم إعدامه بشرب السم يقول فولتير: " إن مثال سقراط هو، في النهاية أقوى، وأرهب حجة يمكن أن تشهر ضد التعصب، لقد كان للأثينيين هيكل مكرّس للآلهة الأجنبية أي للآلهة التي ما كان بوسعهم أن يعلموا بوجودها، فهل من دليل أقوى من هذا الدليل لا على تسامحهم مع جميع الأمم الأخرى فحسب، بل علي احترامهم لدياناتها أيضا. "[1] يعني أن المجتمع الإغريقي مجتمع مسامح مع الأمم الأخرى ويراعي تقبل واحترام الديانات، والدعوة إلى الحرية الفكرية والدفاع عن القيم الإنسانية.

وفي الفصل الثامن تحدث فيه عن الرومان الذين عاشوا التسامح فيما بينهم، وأهم نقطة هي أنهم تقبلوا التعايش مع الديانات الأخرى، فكانت بداية مقاله في هذا الفصل هي " عند الرومان القدامى، منذ رومولوس، وحتى عهد دخول المسيحيين في نزاع مع كهنة الإمبراطورية، لم يَتفقْ قطٌ أن اضطهدوا إنسان واحد بسبب أرائه، فقد شك شيشرون مثلا، في كل شيء أيضا ومع ذلك لم يوجه إليهما أبسط لوم[2]" وهذا دليل علي أن الحرية التفكير لها مكانتها في المجتمع الروماني لم يكن هناك تعصب ضد الأفكار بل بالعكس كان شعب متسامح، وأيضا قال فولتير: "يبقى ثابتا أن معبدا قد شيد في روما لإله مصري، وبموافقة الجميع وفي روما أيضا، مارس اليهود التجارة منذ زمن الحروب البونية، وفي عهد أوغسطس وجدت لهم فيها كُنُس حافظوا عليها بلا انقطاع تقريبا وهذا حتى في روما الحديثة فهل من مثال أسطع من هذا على أن الرومان يعتبرون التسامح البند الأكثر قدسية في القانون الناظم

[1] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 51.
[2] المصدر نفسه، ص 53.

لشؤون الأمم.[1]" هذه الحادثة هي أكبر دليل على أن الرومان متسامحون مع الديانات الأخرى ويتقبلون بالطرف الآخر.

التسامح عند فولتير: "هو نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية، أننا جميعا من نتاج الضعف، كلنا هشّون وميالون للخطأ، ولذا دعونا نسامح بعْضَنا و نتسامح مع جنون بعضنا بشكل متبادل"[2]بمعنى يجب علينا أن نتسامح لنعيش في مجتمع سليم ومتسامح لتحقيق السلام الدائم ختم فولتير رسالته في التسامح بمقالة المعنونة ب( الصلاة إلى الله) يقول فيها " إذن لم أعد إلى البشر أتوجه بل إليك يا رب جميع الكائنات والعوالم والأزمان."[3]وهي دعوة ورجاء وجهه إلى الله لكي يعم السلام والتسامح في الأرض، متخطيا الفوارق المتنوعة، اللغات والأجناس والأماكن وأن يلطف وينظر في البشر بعين الرحمة والشفقة إلى الأخطاء المترتبة على طبيعتهم وأن لا تكون سبب هلاكهم.

[1]فولتير،رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 55.
[2]محمد السيد عباس، مفهوم التسامح، باحث مساعد بمركز الدراسات الديمقراطية والسلام الاجتماعي، مكتبة الإسكندرية، دط، مصر ،2016،ص29.
[3]فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 169.

**المبحث الثالث: التسامح الكونّي لفولتير.**

فولتير يرى نفسه أنه لم يقم بالجهد الكبير في إثبات مبدأ التسامح، لكي يجعله تسامح عالمي "إن التسامح هو التعبير الأكثر كمالا لحرية الإيمان والتفكير والتغير، وأنّه تأكيد لمشاعر الضمير و الإحساس."[1] فالتسامح يركزّ علي حرية التفكير والإيمان فلكل إنسان أفكاره ومعتقداته التي يؤمن بها، فليس عليه أن يتقبل أفكاره فقط وأفكار غيره يكون مصيرها النفي، بل العكس يجب أن يتقبل كل الآراء، فلكل شخص حريته في التفكير، والكثير منّا يراوده سؤال، هل لمبدأ التسامح حدود؟

يعدّ فولتير من دعاة التسامح والسلام والحرية الفكرية، وهو أشهر فلاسفة التنوير، فلقد كان مناقضا لشتى أنواع الظلم وحارب كل أشكال التعصب، دافع فولتير عن قضية "أل كلاس" وهي الأسرة الفرنسية التي تعرضت للظلم من طرف الحكومة الفرنسية ورجال الدّين كانت هذه الأسرة مثالاً بارزاً في تبيان قيمة التسامح التي جعلت من الإنسان رحيماً ومتسامحا مع أخيه الإنسان فقد كان لهذه القضية الصدى الواسع سواء على مستوى النطاق الفرنسي، أو خارجه وذلك بسبب تبني فولتير لهذه القضية الأخلاقية التي من شأنها نشر التسامح بين البشر، والدعوة لسلام الدائم.

إن هدف فولتير ليس فقط الدفاع عن عائلة آل كلاس، بل أراد أن ينشر رسالة عالمية فتجاوز فيها من حيث الشهرة والحجم النطاق الفرنسي, ووصلت أصداؤه إلى مختلف مناحي القارة الأوربية " فولتير من أقوى المنادين بحرية الفكر التي لا يحدّها حدود ."[2] قد أطلق العنان العالمي لحرية الفكر ونشر قيمة التسامح، ولم يضع له حدود بل جعل من التسامح كقيمة إنسانية عالمية بين جميع البشر.

[1] محمد السيد عباس، مفهوم التسامح، مرجع سابق، ص28.
[2] المرجع نفسه، ص 28.

وقال أيضا:« لم يكن في حاجة إلى حذق كبير أو بلاغة متكفلة كيما أثبت على المسيحيين أن يكونوا متسامحين فيما بينهم غير أني سأذهب إلى أبعد من ذالك فأدعوكم إلى اعتبار البشر جميعا إخوة لكم ماذا؟ قد تجيبون: أيكون التركي شقيقي ؟ والصيني شقيقي ؟ واليهودي ؟ والسيامي ؟ أجل بلا ريب: أفلسنا جميعا أبناء أب واحد, ومخلوقات إله واحد. » [1] فولتير لا يضع حدود للتسامح بل يعتبره مبدأ وقيمة إنسانية، يجب أن تسود العالم على الرغم من اختلاف أشخاصهم ولغاتهم وأماكنهم ودياناتهم، يعتبر فولتير أن البشر جميعا إخوة، فالحرية الفكرية ضرورية لنحقق مبدأ التسامح بالسماح للفرد بالاعتقاد بما يراه مناسب له وما يؤمن به من أجل بناء مجتمع متسامح وسليم .

إن رسالة فولتير في التسامح هادفة لجميع البشر، لم يرد أن تقرأ من طرف المثقفين فقط، أو أن تظل حبيسة رفوف المكتبات وإنما أراد أكثر من ذالك أن يواصل الكفاح ضد المتعصبين واللامتسامحين وأن يصل إلى تعبئة الرأي العام لصالح أبرياء مضطهدين بسبب انتمائهم الدّيني، فهو لا يضع حدودا للتسامح باعتباره خاصية إنسانية، يجب أن يكون تسامح كوني حيث وجب أن يكون للإنسان استعداد دائم للصفح عن الأخطاء والتسامح مع المخطئين للقضاء على التعصب المسيحي الكاثوليكي والبروتستانتي، حتى يعُمَّ السلام والمحبة والحرية داخل المجتمع الأوروبي والعالم كافة، "فالتسامح الذي يكمن في ترك الحرية لكل فرد للتعبير عن آرائه حتى إنْ كنا لا نتفق معه فيها ينبع من الاحترام، وبجملة أخرى فالتسامح هو الوئام في سياق الاختلاف والتباين." [2] فالتصريح بتخطي الفوارق بين الناس ونشر مبدأ التسامح لأنه من القيم الأخلاقية الإنسانية، ومن أساسيات السلام الدائم لذا وجب احترامه ونشره.

[1] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 163.
[2] محمد السيد عباس، مفهوم التسامح، مرجع سابق، ص 28.

إن التسامح في نظر فولتير هو " قيمة إنسانية يجب أن تسود العالم على اختلاف أشخاصه ولغاته وأماكنه وديانته وعاداته، أي يجب أن يكون التسامح، تسامح كلي ومطلق، ويجب أن يعم السلام الدائم للكون."[1] ويتحقق هذا بتعايش الناس مع غيرهم، وكيف يمارسون التسامح مع بعضهم بالرغم من اختلاف دياناتهم وأفكارهم.

وفي نهاية المطاف ختم فولتير رسالته في التسامح في مقاله الأخير في الفصل الثالث والعشرون من رسالته في التسامح والتي كان عنوانها " الصلاة إلى الله" فهو يدعوا الله بأن البشر ضعفاء وأن يرحمهم ويشفق علي أخطائهم المترتبة على طبيعتهم البشرية وأن يحميهم من الهلاك، وأن يجعلهم أُخوة متحدّيين، وأن لا يجعل فوارقهم من الناحية الفكرية ومن ناحية المأكل والملبس والجنس فوارق تؤدي بهم إلى الاضطهاد والظلم والتعصب، بل العكس أن يجعلهم متسامحون ويمقتون الاستبداد والحقد.[2]

وعليه يكون فولتير قد أقام دعوته للتسامح علي أساس أن مبدأ التسامح خاصية إنسانية فوجب أن يكون للإنسان استعداد دائم للصفح عن الأخطاء وكذا التسامح مع المخطئين لتجاوز والقضاء على سلطة الكنيسة المسيحية القائمة على التعصب الكاثوليكي البروتستانتي حتى نبني مجتمعات متسامحة يعم بالحرية والمحبة والسلام داخل المجتمعات جميعا ليصبح تسامح عالمي.

[1].عائشة بليلط، التسامح عند فولتير،(2019-08-01)،10:37-26/04/2020<https://ar.lesteinfo.com-Opinoon

[2]فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص ص 169- 170.

# الفصل الثالث:

# تداعيات وآفاق فكرة التسامح عند فولتير.

## الفصل الثالث: تداعيات وآفاق فكرة التسامح عند فولتير.

### المبحث الأول: الجانب الدّيني.

### المبحث الثاني: الجانب السياسي.

### المبحث الثالث: أثر فكرة التسامح لفولتير على رواد النهضّة العربية .

تعد فلسفة فولتير السياسية بمثابة فلسفة تنويرية، سعى من خلالها فولتير لتحرير العقول البشرية التي كانت مسيطرة من طرف الكنيسة والحكام، حيث قال **نيتشه** " لابُد للأسود الساخرة من أن تجئ، وجاء فولتير فأذل الطغاة بسخريته وكان له الفضل الكبير هو وجان جاك روسو"[1]

يعتبر مبدأ التسامح ثمرة فكره السياسي والذي تجسد بصور متنوعة، فلم يعد مقتصرا على الجانب الدّيني فقط، بل امتد إلى الجانب السياسي والاجتماعي، فقد كان للمبدأ التسامح عند فولتير الأثر الكبير، مما وصفه **فيكتور هيجو**" بأن اسم فولتير يصف القرن الثامن عشر كله، لقد كان لإيطاليا نهضة، ولألمانيا إصلاح، ولكن فرنسا كان لها فولتير، فقد كان لبلاده بمثابة النهضة والإصلاح ".[2]

وعليه، سنتناول في هذا الفصل الأخير، أهم الجوانب التي أثر عليها مبدأ التسامح، أهمها الجانب الدّيني مرورًا بالجانب السياسي، وأخيرا أثر فكرة التسامح لفولتير على رواد النهضة العربية.

[1] ول ديوارانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي حياة وآراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم، مرجع سابق، ص 250.
[2] مرجع نفسه، ص 250.

**المبحث الأول: الجانب الدّيني.**

إنّ الاختلاف في الدّين والمعتقد، أدى برجال الدّين والقساوسة إلى خوض حروب دامية نتج عنها التشتت والظلم والتعصب، فرائد التنوير فرانسوا ماريه أوريه الشهير باسم فولتير قدم على نشر رسالة عالمية تدعوا لسلام الدائم والتسامح والمساواة، إن أكثر السلوكيات التي سعى لمحاربتها هو التعصب الدّيني وإحلال محله الفكر التسامحي بين البشر كافة .

يظهر الأثر الذي خلفه فولتير حول مبدأ التسامح من خلال إهداء **نيتشه** كتابه المعروف فيما وراء الخير والشر" قائلا: إلى فولتير، أحد كبار محرّري الروح البشرية"[1] إن فكر فولتير التنويري بمثابة بوابة سار على خطاها العديد من الفلسفات والمعتقدات، حيث أُعجبوا بفولتير في القضاء على أفكار الكنيسة التي تبنت أفكار كلاسيكية عن آبائهم الأوائل وراحوا يطبقونها على الناس، لكن هاته الأفكار لم تدم طويلا لأن فولتير وجهَ أقلامه اتجاه هذا الظلم، فنشر مبدأ التسامح الذي أضحى مفهوماً واسعاً اتخذته فلسفات كثيرة، وهذا ما جعل نيتشه يهدي كتابه فيما وراء الخير والشر لأن فولتير حرر العقول التي كانت مقيدة بأفكار الكنيسة ومحاربته لشرور ودعوته للقيم الإنسانية.

ومع التشكيك في المؤسسات الدّينية، قال العديد من مفكري التنوير أن للبشر الحرّية الدّينية في عبادة ما يعتقدونه صحيح ، تقول سوزان آبرنيثي بهذا الخصوص: "لقد سعى مفكرو عصر التنوير بشدّة إلى الحدّ من القوة السياسية للدّين المنظم في محاولة للحدّ من الحروب الدّينية المتعصّبة" [2] إن التسامح في الجانب الدّيني أعطى الأثر الكبير في تمجيد الحريات، أهمها حرية المعتقدات والأديان والدعوة بضرورة احترامها.

[1] عارف عادل مرشد، ملامح من الفكر السياسي عند فولتير، مرجع سابق، ص 41.

[2] وليد سايس،(21أغسطس2016)،تأثير عصر التنوير على تطور التفكير العلمي، https:// ibeliveinci- com , 09 :22, 09-06-2020

" قبل موت فولتير جاء لزيارته بنيامين فرانلكين العاهل الأمريكي صاحب اليد الطولى في حرب استقلال أمريكا، وكان الأمريكي قد اصطحب حفيده معه، فنظر الشيخ الفرنسي فولتير، ووضع يده الناحلتين على رأس الغلام الصغير وأمره بأن يكرّس نفسه ل« لله وللحرية » ."[1]هذا أكبر تمجيد لعظمة فولتير في نشر التسامح للقضاء على التعصب الدّيني، الذي كان خطرا على البشرية جمعاء فكان الحل السريع له الدعوة لمبدأ التسامح والسلام الدائم، لأن أهم ثمار مبدأ التسامح هو الابتعاد عن الصراعات الدموية التي تغلغلت في الدّين، فهدف فولتير هو رسم برنامج يدّمر فيه التعصب الدّيني والحفاظ على حقوق الأفراد، وإبعاد القوانين الكلاسيكية التي لا تهتم لحقوق الإنسان، والقضاء على كل أشكال التعذيب والعنف.

" كان فلاسفة التنوير كهنة وجنود ورجال الدعاية لروح العقل الجديد، والتسامح والتقدم، أصدر فولتير صيحة نداء تحثهم على الاتحاد."[2] جمع فولتير رواد عصر التنوير على إصلاح الأوضاع وإقامة التسامح الدّيني، وضرورة تنوير العقول التي كانت مقيدة بأفكار القساوسة والباباوات.

وبعد وفاة فولتير " كانت الجمعية الوطنية قد بدأت أولا في سنة 1789 بالعمل على تهيئة أسباب التسامح الدّيني، وإعادة تنظيم الكنيسة على أساس الإدارة المدنية ."[3] أخذت الأمور بالتحسن بعد موت فولتير والتحضير لمبدأ التسامح، الذي جمع بين الناس وأصبح رسالة عالمية يستغيث بها الجميع.

[1]سعيد حبيب، أعلام الفكر الفرنسي، مرجع سابق، ص 64.
[2]ليود سبنسر و أندرزيجي، عصر التنوير، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مجلس الأعلى للثقافة، ط1، د ب،2005، ص 60.
[3]سعيد حبيب، أعلام الفكر الفرنسي، مرجع سابق، ص 64.

كذلك " في العصر الحديث كان لدى الفيلسوف الوجودي الفرنسي جان بول سارتر الكثير ليقوله عن الثورة والتمرد، وقبل سارتر كان لدى الفلاسفة الفرنسيون الكثير من الأفكار حول الثورة والتمرد، الثورة الفرنسية في القرن 18م برز العديد من المفكرين الفرنسيين الذين ألهموا الثورة 1789- 1799، ومنهم فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيو ودنيس ديدرو، وشجعت أفكارهم الثورية الجماهير الفرنسية على القتال من أجل حقوقهم، كاشفين عن عدم كفاءة الحكم وحكومة"[1] كان الأثر الكبير لفولتير وهؤلاء الفلاسفة في مساهمة تطوير ونشر القيم الأخلاقية والإنسانية أهمها التسامح لإخماد نار الحروب التي جعلت فرنسا تعيش حالة رعب من قبل الحكومة ورجال الدّين، فلكل واحد منهم أفكاره التنويرية التي ساهمت في نشر مبدأ التسامح، يرى مونتسكيو أن سبب وجود حرية الكلام وحرية الصحافة في إنجلترا هو حفاظهم على مبدأ الحرية، وجعل المواطنين يتمتعون به من منطلق إعطاء الحق لكل فرد في التعبير عن آرائه ومعتقداته[2]، كذلك يؤكد دنيس ديدرو أن دور العقد الإجتماعي يكمن في ميزتان للحالة الطبيعية هما: المساواة والحرية، ويدعوا الذين يقدمون على العنف من أجل الاستيلاء على السلطة بالمغتصبون[3]، نلاحظ أن هؤلاء الفلاسفة أخذوا من فولتير فكرة الحرية التي هي أساس مبدأ التسامح وطبقوها علي واقعهم لتكوين مجتمعات سليمة ومتسامحة.

و " أثار هؤلاء الفلاسفة وغيرهم الشعب لتحدي السلطة عبر كتاباتهم وهاجم فولتير الكنيسة الكاثوليكية، وآمن أن مصير الإنسان بين يديه وليس في الجنة، وشجعت أفكاره الناس على القتال ضد امتيازات وهيمنة الكنيسة." [4] اتبع الجميع طريق فولتير في نشر التسامح لأنه كان منافيا للظلم ومحاربا لكل أشكال التعصب الدّيني، فقد تجاوز فولتير من حيث الحجم والشهرة النطاق الفرنسي، ووصلت شهرته للقارة الأوروبية.

---

[1].عمران عبد الله،(23-10-2019)،تحفظ عليها سقراط وأربكت كانط وهيجل هل حذر الفلاسفة الثورات أم نظروا اليها،(14-06-2020)،12:19،https://www aljazeera nte.

[2]ف فولغين، فلسفة الأنوار، تر: هنرييت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 2006، ص 71.

[3] مرجع نفسه، ص ص 116،118.

[4] عمران عبد الله، تحفظ عليها سقراط وأربكت كانط وهيجل هل حذر الفلاسفة الثورات أم نظروا اليها، مرجع سابق.

وعليه فإن فكرة التسامح عند فولتير ذاع صيتها في عصر التنوير، وأصبح تسامح كوني فعلى الإنسان أن يدافع بمثل هذه القيم، لأن في واقعنا الراهن أصبح العداء والعنف يسيطرون على شخصية الإنسان ، لذا من الواجب أن نغير من سلوكيات الفرد ليتحقق مجتمع متسامح ومسالم وآمن خالٍ من الشرور.

**المبحث الثاني: الجانب السياسي.**

إن الحديث عن التسامح وثقافته، هو حديث ينبع من العقل الفردي وينتهي بالعقل الجمعي، بمعنى آخر يبدأ بالإنسان الفرد وينتهي بالمجتمع، لذا سنبدأ بالحديث عن الأبعاد والآفاق لفكرة التسامح عند فولتير من حيث جانب السياسي.

" كان فولتير يرى بوضوح أن على التسامح أن يكون تبادليا:أي أنه يتعين عليه أن يقوم على مبدأ التقابل، لكنه لم يتوقع قيام مجتمع ديمقراطي يصبح التسامح فيه مبدأ مقبولا، وليس فقط على شكل تسامح ديني، بل كذلك على شكل تسامح سياسي."[1] مما يعني أنه بغض النظر على الاختلاف بين الإيديولوجيات السياسية التي أدت إلى العديد من المشاكل والأزمات والحروب لذا يعتبر التسامح والتعايش السلمي غاية أخلاقية وإنسانية، يسعى الإنسان لتحقيقها على مدى التاريخ الحضاري.

" فهي دعوة للسلام مع الذات والآخر، وهي تنطلق من الدائرة المتوسطة أي الجماعة، فالأصغر أي الأسرة وصولاً إلى الإنسان نفسه، فلا تتحقق قيمة الإنسان ولا يشعر بحياته ما لم يشعر بالسلام والتقبل والتفهم من الآخرين له، ويعتبر التسامح مبدأ من مبادئ حقوق الإنسان حيث يتضمن الحرية والمساواة، وهو نابع من السماحة أي اعتراف بثقافة الآخر." [2] فالتسامح هو ضمان لحقوق الأفراد وذلك من خلال السلطة، حين تتضمن قيمة التسامح من قبل السلطة السياسية ضمن تشريعاتها وقوانينها المفروضة، شاع مصطلح التسامح بشكل

[1] سمير الخليل و آخرون، التسامح بين شرق و غرب دراسات في التعايش والقبول بالآخر،تر: إبراهيم العريس،دار الساقي ط 1، بيروت،1992 ،ص77.

[2] .محمد علوش،(16-حزيران2017)، من مقتضيات التسامح السياسي،https://m. almayadeen.net; 18:20,02-06-2020

كبير وذلك للإشارة إلى أكبر قسط من الممارسات التي تم التسامح معها، وكذا الأحزاب السياسية التي أُعتمد عليها بشكل سريع.

" الحقيقة هي أن مجتمعاتنا_ على الرغم من أنها وديمقراطياتنا الغربية لا تزال شديدة البعد عن الكمال_تعتبر المجتمعات الوحيدة التي تتمتع بقدر كبير من الحرية، ويبذل فيها الكثير من الجهود، من أجل خير المحتاجين، وفيها قدر كبير من التساوي أمام القانون، وتتمتع بقدر كبير من التسامح."[1] بمعنى أن الحرية قد تمتعت بها المجتمعات الحالية، خاصة الحرية الفكرية و ذلك لتعظيم شؤون الطبقة الفقيرة من منطلق مبدأ التسامح، الذي يعتبر قيمة أخلاقية لضمان التعايش السلمي وتحقيق السلام الدائم، بالرغم من أننا لسنا مجتمع كامل إلا أننا نسعى لتحقيق هذا المبدأ وصولا لمجتمع أفضل.

"ونعود الآن إلى التسامح:إن التسامح والديمقراطية، والمحاولات العظمى التي نقوم بها من أجل تحسين شروط العيش للجميع، تتعرض لهجمات دائمة...مقابل هذا، سيتوجب الرد عليها بالطبع إن كانت مخطئة ولاسيما إن أتت من لدن أفراد أو جماعات يرغبون في الاستفادة من التسامح، إنما دون أن تكون لديهم نيّة تقديم ما هو مقابل له بممارسة التسامح بدورهم أفراد وجماعات يطالبون بحقوقهم من دون أن يكون على استعداد لضمان حقوق أولئك الذين يطالبون اليوم بحقوقهم الخاصة."[2] يعني أنه من الضروري الدفاع عن الديمقراطية وجميع مؤسساتها لضمان التسامح فهو ضرورة سياسية أفسحت المجال لتطور تاريخ التسامح الذي ساهم في تحقيق الاستقرار السياسي،و الحفاظ على حقوق الأفراد من خلال ممارسة التسامح والاستفادة منه، من منطلق أننا نحن البشر قد نقع في الخطأ لذا من المستحب أن نكون متسامحين وعقلانيين، لنكون متساويين جميعا وأن كل الآراء قابلة للدفاع عنها وفقا لمبدأ التسامح.[3]

[1] سمير الخليل و آخرون، التسامح بين شرق وغرب دراسات في التعايش والقبول بالآخر، مرجع سابق،ص 81.
[2] المرجع نفسه، ص 85.
[3] المرجع نفسه،ص86.

إن إعلان اليونسكو بشأن التسامح أن: " بدون التسامح لا يمكن أن يكون سلام، وبدون سلام لا يمكن أن تكون هناك تنمية وديمقراطية." [1] هذا دليل على أن التسامح هو المنشأ الأول للتعايش السلمي، ونشر السلام الدائم للتنمية البشرية السليمة والصحيحة، التي سار على خطاها فولتير وغيره من الفلاسفة،ونجد أودري أزولاي المديرة العامة لليونسكو ركزّت على الدفاع عن الاستثناء الثقافي الفرنسي، لمواجهة القدرات الأمريكية الهائلة من منطلق تشجيع وتكريس لغة فولتير في التراث وثقافة فرنسا، يعني أن منظمة اليونسكو تعتمد في قوانينها على مبادئ فولتير، للحد من الصراعات والحروب لتجنب الأوضاع الكارثية كالقضية الفلسطينية .[2]

إن تعريف اليونسكو للتسامح: " قد اعتمد المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرون في باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995 معنى التسامح خلال عدد من المبادئ وأهمها: إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، و إنما هو واجب سياسي و قانوني أيضا، والتسامح هو الفضيلة التي تسير قيام السلام، وتسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب."[3] إن أثر التسامح على الجانب السياسي يكمن في أهمية احترام الرأي المخالف وهذا من منطلق مبدأ فولتير في احترام الغير مهما كانت ديانته أو جنسه، أو لونه، أو عقيدته فهو يدافع علي الحرية الفكرية لأنها واجب.

شرّع فولتير مفهوم التسامح الكوني للقضاء على التعصب، فقد غرسَ بذرة التسامح ونمت وتطورت على يد الكثير من المفكرين من أمثال "(فيكتور هيجو، وايميل زولا)،وفي القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين جان بول سارتر، وميشال فوكو، جيل دولوز وغيرهم الكثيرون."[4]

[1] محمد السيد عباس، مفهوم التسامح، مرجع سابق،ص 29.

[2] فؤاد أبو منصور،(5مارس2019)،أودري أزولاي المديرة العامة لليونسكو تبحر في أرخبيل الثقافة والسياسة،(26أوت2020)،08:53، https://alarab.co.uk.

[3] محمد السيد عباس، مفهوم التسامح، مرجع سابق، ص 14.

[4] نقلا عن مسدوة وهيبة، خطاب التسامح في فكر الأنوار، مرجع سابق،ص 164.

" فنحن في الحقيقة تعلمنا الدرس الذي صاغه فولتير صياغة جميلة، وفحواه أننا قابلون للوقوع في الخطأ، أننا كائنات بشرية و أننا غالبا ما نكون على خطأ: و يبدو لي الكثيرين من بيننا قد استنتجوا من هذا أن كل شيء على ما يرام، وأن أي شيء قابل لأن يدافع عنه. "[1] فولتير ندّد بمبدأ التسامح لأن لديه أهمية كبيرة تجعل من الإنسان متسامحا وعادلا مع غيره، وأن يتقبل الآخر كما يتقبل نفسه، وأن عملنا جميعا بهذا المبدأ ستكون مدينة عالمية مثالية ومتسامحة تتكون لدينا سلطة سياسية تقود المجتمعات للنظام والعدل، والحفاظ على حقوق الإنسان والدفاع عنها، لذا فإنه: " لمن الجودة بمكان أن يقول المرء: قد أكون أنا على خطأ، وقد تكون أنت على صواب، فإذا قال الطرفان معا هذا القول سيكون هذا على الأرجح كافيا للوصول إلى تسامح متبادل، وإلى مجتمع صالح." [2] يعني أن الطرفان عندما يفهمان الأمور بشكل عقلاني، يؤدي أولا إلى تصحيح أخطائهم ثم تكوين حالة متسامحة خاصة في المجال السياسي، لأنه على الحكم السياسي أن يكون محايدًا وغير متحيز، لأن التسامح السياسي يبدأ من أن الأفراد مهما كان اختلافهم سيتسامحون مع بعضهم البعض.

" كان فولتير مع فلسفته التنويرية التي تجسدت فيه وتمثلت، هو الموجه للفلسفة الغربية فيما بعد فقد كانت الأُسوة الفولتيرية للفيلسوف أنه قبل كل شيء مواطن وناقد ومناضل ناشط، لا يشتغل بالتفكير المنهجي الغامض المبهم إلا إذا مست الحاجة، فالتأمل الفلسفي المجرد أصبح ثنية بعدما كان قاعدة، وعادة ضرورة وقد كان عادة، بها تأست الفلسفة الغربية في مسيرها فيما بعد."[3] بمعنى أن فلسفة فولتير التنويرية هي الطريق المرشد للفلسفة الغربية، من حيث المنهج لأنها بنت فلسفتها على أصول الفلسفة التنويرية التي كان فولتير أحد مؤسسيها.

[1] سمير الخليل وآخرون، التسامح بين شرق وغرب دراسات في التعايش والقبول بالآخر، مرجع سابق، ص 86.
[2] المرجع نفسه، ص 87.
[3]. مشرف بك أشرف،(17-07-2018)،مدخل شامل ومترجم من موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة الحكمة،13-03-2020،10:13،https://hekmah-org.

قال **كارل ماركسKarl Marx(1818-1883):** " على الفلسفة أن تقدم على تغير العالم، ولا تبقى مكتوفة اليدين مكتفية بفهمه؟ نعم فإن نظرية كارل ماركس الشهيرة مدينة لفولتير دينا كبيرا و أما تأثير فولتير في أفكار كارل ماركس فقد جاء عن طريق موجة النهضة الفرنسية التي كان فولتير أحد أبطالها."[1] من هذا يتضح أن أفكار فولتير كان لها الصدى الواسع في الفلسفة الغربية، وكارل ماركس أحد مفكريها الذين ساروا على خطى فولتير المبنية على التسامح، والحرية الفكرية وكذا تحرير العقول البشرية التي كانت تحت سيطرة الكنيسة والحكام.

" ولا يزال فولتير قدوة لأصحاب العزائم التجديدية التقديمية التحديثية، الذين يرون بين النشاط التفكيري الناقد والنشاط السياسي المعارض أواصر ووشائج قوية."[2] ومن هذا يتضح أن فولتير من أعظم رجال التنوير الذين قدموا حياتهم في سبيل الدفاع عن القيم الإنسانية أهمها التسامح الذي يعتبر قيمة أخلاقية على البشر التحلي بها لبناء مجتمعات سليمة.

تأثر **برترا ند راسل Bertrand Russell(1872-1970)** أيضا بفولتير حيث: " يشبه بعض الباحثين رسل بفولتير لسعة أُفقه وحرية تفكيره "[3] إن فكر رسل مشابه لفكر فولتير كثيرا خاصة في فكرة الحرية، ومحاربته لأفكار آباء الكنيسة القديمة، حيث أقام راسل مشروع السلام الدائم الذي من خلاله يتم إرشاد المجتمعات لدعوة لسلام ونبذ الحرب وكل أشكال العنف والتعصب.

" كان رسل في أفضل حالاته حين انتقد الأحوال الأخلاقية والسياسية المعاصرة، وكانت البدائل الايجابية التي طرحها تبدو عادة غير مقنعة، إذ كانت عادة إما مثالية إلى حد خيالي أو على أقل تقدير، إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف التي قدّمها فيها غير عملية إلى حد

[1] مشرف بك أشرف، مدخل شامل ومترجم من موسوعة ستانفورد للفلسفة،مرجع سابق.
[2] مشرف بك أشرف، مدخل شامل ومترجم من موسوعة ستانفورد للفلسفة، المرجع نفسه.
[3]. براتراند راسل(1مارس2008)،عدو الحرب نصير السلام،2020-07-03, 20: 15, https:// www .alittihad.ae

ما، ولكن كناقد شديد القسوة لاذع الكلمات، كان في مكانة سقراط وفولتير نفسها."[1] طريقة رسل في أفكاره وفي أسلوبه تماما كأسلوب فولتير، والتسامح في المجال السياسي هو ضرورة للأفراد بتقبل الجماعات وتفاعلها مع بعضهم البعض، ويتجلى التسامح السياسي في جعل المواقف السياسية المتعددة بالمشاركة والسماح وتقبل الرأي المعارض، دون مراعاة الاختلافات من حيث الجنس أو الدين .

ويرى راسل " في الدّين تحديدا في شكله المؤسساتي القائم، عقبة في وجه أي تقدم أخلاقي أو فكري، الدين قائم على الخوف، وعلينا مواجهة المؤسسات الدينية التي تنشر الجهل والقسوة مستندة إلى الخوف."[2] إن رأي رسل في الدين كرأي فولتير فكلاهما رأيا أنه ينشر الظلم والتعصب وأن الكهنة والقساوسة يستغلون مناصبهم في هاته المؤسسات الدّينية بنشر الأفكار القديمة التي كلها قسوة وقيّدت عقل الإنسان وجعلت منه محل خوف، لذا راسل اتبع فولتير في مناقضة رجال الدين، وإقامة السلام الدائم في إطار مجتمع متسامح.

وعليه فولتير هو بمثابة الحلقة الأولى في نشر رسالة عالمية مفادها التسامح والسلام، واتسعت هذه الحلقة في أنحاء القارة الأوروبية، واتخذه الفلاسفة والمفكرين مثالا للإنسانية، والدفاع عن حقوق الإنسان التي سلبت من طرف الإنسان نفسه، من منطلق التسامح السياسي الذي يدعوا لتقبل الآراء المخالفة والسماح لهم بحرية الرأي وحرية المعتقد، لتثبيط المتعصبين والمتطرفين لأنه لا يمكن التسامح معهم، لأنه بمجرد أن نتسامح مع اللامتسامحين يعدُّ قضاء على التسامح نفسه.

[1] إيه سي جرايلينج، براتراند راسل مقدمة صغيرة جدا، تر: إيمان جمال الدين الفرماوي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1 مصر، 2014 ،ص86.

[2] عدي الزعبي،(كانون الأول2015)براتراند راسل في الحرية والدين والعقلانية،2020-07-03،15:12،www.aljumhriya.nte

**المبحث الثالث: أثر فكرة التسامح لفولتير على رواد النهضّة العربية.**

إن فولتير يركزّ في فكره على الحرية، لأنه يعتبرها ضرورة لا بدَّ منها، خاصة أنه يطالب بحرية التفكير لأنها تقود إلى تسامح الأفراد والجماعات، فلولا حرية التفكير واحترام الغير في أفكارهم ومعتقداتهم، لكانت المجتمعات في حالة عنف وتعصب مما يؤدي لحالة من اللاتسامح، فولتير معجب بالحرية في انجلترا، نجد رواد النهضة العربية متأثرين جدا بكل أفكار فولتير أو بالأحرى جُلَ فلسفته التنويرية.

" قد اقترن اسم فولتير بحركة التحرر الفكري، الذي سيقود إلى تحرر السياسي، فكان رمزا لانطلاقة الفكر الأوروبي التي انتهت بأن جعلت جميع أشكال الظلم غير محتملة."[1] يعني أن فولتير فكره كان فكرا إصلاحيا، يركز فيه على التسامح للابتعاد عن مختلف أشكال الظلم والتعصب الدّيني، فقد طبق فولتير قوانين المجتمع الإنجليزي على فرنسا ليبني دولة سليمة تعيش في تسامح وسلام دائم.

إن فلسفة التسامح عند فولتير لم تظل حبيسة التنظير فقط، بل أصبحت واقعية نجد الكثير من الفلاسفة والمفكرين ساروا على نفس خطاه واتخذوا من فكره بداية لفكرهم الفلسفي السياسي، ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة رواد النهضة العربية ومن بينهم رفاعة الطهطاوي(1216-1801) وفرح أنطون(1874-1922)، فقد تشبعوا بأفكار الغرب التي درسوها، لأنها أعطت للشعب الحرية والمساواة والعدل والتسامح، "حيث عانت فرنسا قبل الثورة كما ذكرنا سابقا من ظلم الحكام وبذخ النبلاء على حساب الشعب، وكيف أن الثورة أقامت العدل بين الجميع، وهذا ما لمسه رواد النهضة، فالطهطاوي يبدو أنه لاحظ ولمس وجود قواسم مشتركة بين حالة فرنسا قبل الثورة،

[1] مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر روّاد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد فارس الشدياق، وفرح أنطون، رسالة في الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2007،ص 78.

وحال مصر آنذاك فكان لابّد من محاولة من أجل الإصلاح."[1] وهذا ما جعل رواد النهضة يسارعون لدراسة فولتير من جميع النواحي خاصة الجانب الإصلاحي.

**1-رفاعة الطهطاوي:**

"ولد رفاعة في طهطا سنة 1216هـ_ 1801م وإليها ينسب، وفيها تلقى علومه الأولى، وفي سنة 1232هـ_1817م وفد على القاهرة، والتحق بالأزهر ومكث به نحو خمس سنوات ختم فيها دروسه."[2]

يظهر أثر فولتير على فكر رفاعة الطهطاوي حين أكد أنه:" أن من حق الفرد أن يتصرف كما يشاء في نفسه و وقته وشغله، فلا يمنعه من ذلك إلاّ المانع المحدود بالشرع أو السياسة وهذا الرأي يبدو فيه تأثر الطهطاوي بفولتير، ففولتير عدَّ الحرية المطلقة للفرد في شخصه وأملاكه إحدى الحقوق الرئيسية بشرط أن لا يكون مخرّبًا وهَّدامًا."[3]يظهر لنا أن الطهطاوي قد نقل فكرة الحرية عند فولتير التي تعدُّ الركيزة الأساسية لمبدأ التسامح، وذلك لإصلاح الأوضاع من الاستبداد الكنسي والاضطهاد الدّيني، من قبل رجال الدّين والدّعوة إلى التسامح الدّيني والحرية والمساواة وكذا المحافظة على حقوق الإنسان كاملةً.

ويتضح مدى تأثر رفاعة بفولتير أكثر من خلال كتابه" تلخيص إبريز في تلخيص باريز" حيث كان رفاعة هو إمام البعثة التعليمية المصرية التي كانت إقامتها في فرنسا، فستوعب فيها الفكر التنويري الأوروبي، خاصة مؤلفات فولتير وترجمة حياته، مما جعل هذا التفاعل يتماشى مع النهضة العربية في مصر، وذلك وفقا لصفات فرنسا من حرية الفكرية، وأن الملك هو الذي يعفو عن الإنسان وأن يحقق مواد العقوبات وإقامة العدل وإسعاف المظلوم.[4]

[1]مبروك موسى الحامدين،أثر فولتير في فكر رواد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد فارس الشدياق، وفرح أنطون، مرجع سابق،ص43.

[2]جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، مؤسسة الهنداوي للنشر، دط ،د ب، 1945 ، ص11.

[3]مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر رواد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد فارس الشدياق،وفرح أنطون، مرجع سابق، ص 78.

[4]رفاعة الطهطاوي، تلخيص الإبريز في تلخيص باريز،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،دط، القاهرة،2012، ص ص107،113.

" يبدو لنا أن ترجمة الطهطاوي للدستور الفرنسي أو نقله عن فولتير لم يكن مجرّد إظهار ثقافة أو براعة ترجمة، وإنما كانت كتاباته رسائل ضمنيّة إلى الملتقى المصري بشكل خاص والعربي بشكل عام."[1] فرفاعة الطهطاوي برع في نقل أفكار فولتير الإصلاحية في مصر، ليحقق العدالة والمساواة ونشر القيم الإنسانية أهمها التسامح، ونشره بين الأفراد والجماعات، وبالفعل نجح الطهطاوي في نقل هذه الأفكار وجعلها نظريات وفلسفات سياسية المستسقاة من فلسفة التسامح عند فولتير.

" فالطهطاوي تظهر دعوته إلى التسامح من خلال الحديث عن المخالطة بين أبناء الشعوب المختلفة، فيرى الطهطاوي أن المخالطة مغناطيس المنافع ... وتؤدي إلى المحبة الوطنية، التي تؤدي بدورها إلى اجتماع القلوب." [2] بمعنى أن الطهطاوي مع فكرة فولتير حول احترام الاختلاف سواء من حيث الثقافة أو العقيدة، والجنس واللون، ونعترف بآراء الآخرين ونتقبلها لأن هذا يجعل البشر متسامحين ومتآخين، " وفي هذا السياق يرى الطهطاوي أن مراعاة الأهالي، وإباحة تمسكهم بعقائدهم، وعدم منعهم حسب الإمكان مما لا يستطيعون مفارقته من مألوفاتهم المأذونة والمحافظة على إرضاء خواطرهم، أقوى شيء من حفظ البلاد وراحة العباد، وتوسيع دائرة المنافع العمومية، فالتسامح إذن يحقق الاستقرار للمجتمع ويساعد على توسيع دائرة التمدن للوطن."[3] فرفاعة الطهطاوي يركز على حرية الفرد في اختيار عقيدته والتمسك بها، وممارسة تعاليمها شيء مهم جدًا، في نشر السلام والتسامح بدلاً من محاربتها.

أيضا رفاعة الطهطاوي " نادى بحرمة الرأي وعدم كتم هذا الرأي مادام لا يخل بقوانين بلده."[4] يتضح أن طهطاوي يلّح على احترام الغير، خاصة الحرية الفكرية وحرية العقيدة، فلإنسان له كامل الحرية في التصرف بحياته وفق القوانين الشرعية والسياسية، وهذا دليل على تأثر الطهطاوي بمقولة فولتير الشهيرة:" قد لا أتفق معك في الرأي لكنّي مستعد

[1] مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر روّاد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد فارس الشدياق،وفرح أنطون،مرجع سابق، ص 79.

[2] المرجع نفسه،ص144.

[3] المرجع نفسه، ص144.

[4] المرجع نفسه،ص 78.

للتضحية بحياتي في سبيل حرية تعبيرك عن رأيك."[1] فالحرية الفكرية ضرورية لتحقيق مبدأ التسامح، من خلال السماح للأفراد بالاعتقاد بما يرونه مناسب وما يؤمنون به.

كذلك نجد الطهطاوي يأخذ بفكرة محاربة الخرافات والتعصب لأن فولتير يرى أن: " معظم العقائد في الأديان هو نسيج من الأساطير، ووضع من الجماعات الدّينية الأولى، وينطلق ذلك على المسيحية، وعلى الديانات الأخرى على السواء."[2] ففولتير مناقض للآراء القديمة والخرافة والأساطير، التي يصرح بها رجال الدّين والقساوسة، لأنها زرعت العنف والظلم بين الناس، لذا دعا للقضاء عليها ونشر التسامح والسلام الدائم، رفض الطهطاوي " التعصب من خلال تناوله لقضية أهل الذّمة، ويرى الطهطاوي أن هذه القضية تقوم على أساسين: حرية العقيدة، وضرورة التعامل بين كل أبناء الوطن في إطار المساواة وسيادة القانون."[3]وهذه دعوة لتحسين الأوضاع آنذاك، ونشر المساواة بين أفراد المجتمع، ودمج أهل الذمة داخل المجتمع المسلم، ليكوّن مجتمع متسامح ومسالم.

فولتير " يدعوا إلى عدم الإساءة إلى أحد بسبب دينه، وعلى هذا عدّ جميع الذين يؤمنون بالله أخوة، كما عدّ فولتير التسامح دواء للشقاق الذي يصب الجنس البشري."[4] من هذا يتضح أن فولتير يقدس مبدأ التسامح، لأنه قيمة أخلاقية مهذبة للسلوك البشري، وهو اللبنة الأولى لصلاح الأمم وتقدمها الحضاري، ومن هذا المنطلق نجد رفاعة الطهطاوي متأثر بدرجة كبيرة في هذه الفكرة فهو يرى: "أن الملوك إذا تعصبّوا لدينهم، وتداخلوا في قضايا الأديان وأرادوا قلب عقائد رعاياهم المخالفين لهم، فإنهم يحملون رعاياهم على النفاق، ويستعبدون من يكرهونه على تبديل عقيدته، وينزعون الحرية منه."[5] هذا تأثير واضح لرفاعة الطهطاوي في محاربة التعصب الدّيني الذي حاربه فولتير كذلك، فهو أيضا يقرُ أن رجال الدّين والملوك هم

[1] خديجة زتيلي، الفلسفة المعاصرة قضايا وإشكاليات، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1 الجزائر، 2014، ص5.
[2] مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر رواد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد فارس الشدياق، وفرح أنطون، مرجع سابق، ص 140.
[3] المرجع نفسه،ص 142.
[4] المرجع نفسه،ص 141.
[5] المرجع نفسه،ص142.

من صنعوا كل أشكال التعصب والظلم، وخلق حالة من اللاتسامح لذا رفاعة الطهطاوي خطى طريق فولتير في التسامح والإصلاح.

**2_ فرح أنطون:**

ولد فرح أنطون " طرابلس، من أعمال لبنان الشمالي، ولد انطون، وذلك عام 1874م، لأسرة عرفت بثرائها."[1] حيث أن لأنطون ترجمات عديدة معظمها أفكار غربية، فقد اتجه لدراسة الفكر الإصلاحي الفرنسي من خلال أفكار فولتير العظيمة، " هذه الترجمات دعوة من انطون إلى الثورة على الظلم والفساد، بحيث تكون الثورة الحل الأخير بعد نفاذ الوسائل السلمية."[2] اتخذ انطون المنحى الذي سار عليه فولتير في نشر التسامح، وتثبيط كل أشكال التعصب لبناء مجتمع سليم وآمن.

ففي كتابه "أورشليم الجديدة" بالتحديد في الفصل الثامن بعنوان تاريخ حياة إيليا، يشير إلى أن الراهب الشيخ يوضح للفتى إيليا أن البشر فجميع أجناسهم سواء كانوا يونانيين أو رومانيين أو سوريين أو مصريين، في الشرق والغرب تتضمن فيهم مبادئ الإنسانية مبتعدين عن الفساد والجهل، ومتمسكين بعضهم البعض متصافحين ومتصالحين وكأنهم إخوة.[3]

ويتضح تأثر انطون الشديد بفولتير في أنه قال أن الدولة: " تقوم على الحرية والمساواة حتى تتحقق السعادة والقوة الوطنية." [4] فهو كذلك يسعى لبناء مجتمع صالح تحترم فيه الحقوق و الواجبات للأفراد، فقد تجسدت أفكار فولتير في فلسفة انطون وذلك لنشر رسالة عالمية إصلاحية مفادها التسامح والأمن والاستقرار.

دعا أنطون: " إلى التسامح مستعينا بمفهومين عبر من خلالها عن فكره في مسألة التسامح وهما: الإخاء والتساهل، فالإخاء كلمة مقدّسة ولفظها عظيم، ويذكر الإنسانية كلها بأنها عائلة واحدة، كما أن البشر وإن اختلفت بلادهم ومذاهبهم وألوانهم، فإنّهم إخوان في

[1] سمير أبو حمدان، موسوعة عصر النهضة فرح أنطون صعود الخطاب العلماني، دار الكتاب العالمي، دط، بيروت،1992 ،ص 11.

[2] مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر روّاد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد فارس الشدياق، وفرح أنطون، مرجع سابق،ص 59.

[3] فرح أنطون، أورشليم الجديدة، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، دط، القاهرة،2013،ص 69.

[4] مبروك موسى الحامدينن أثر فولتير في فكر روّاد النهضة،رفاعة الطهطاوي، أحمد الشدياق، وفرح أنطون،مرجع سابق، ص 81.

الإنسانية، أما التساهل فيراه انطون أساس المدنية، ونظر إلى الإنسان حق في كل خيرات الأمة ومصالحها ووظائفها الكبرى والصغرى حتّى رئاسة الأمة نفسها." [1] وهذا تصريح مباشر لفرح انطون بضرورة فصل الدّين عن الدّولة، ونشر قيمة التسامح بين البشر جميعًا، وعلى الإنسان ألا يراعي لهذه الفرو قات الجنس واللون والمعتقد لأنها سبب في نشوء الحروب وطمس مبادئ الإنسانية.

لقد هاجم انطون رجال الدّين كما هاجمهم فولتير، لأن فولتير يعتبر أفكار رجال الدّين و الكنيسة قد أدّت إلى خسائر عدّيدة، " ويقدر فولتير عدّد الأشخاص الذين ذهبوا ضحية الكنيسة بعشرة ملايين نسمة على الأقل." [2]يعني أن الكنيسة قد شتت أفكار المجتمع، وخلفت آثار سلبية أدت إلى جهل العقول، لذا دعا للتخلص منّها، ومن هذا الرأي " انتقد أنطون رجال الدّين الذين نصبّوا أنفسهم وسطاء بين الله والنّاس، فإنّ ذلك أدّى إلى كبت حريتهم الدّينية."[3] لأن رجال الدّين صنعوا الحروب بين الأديان وذالك لاختلاف بين المعتقدات، وهذا من أجل مصالحهم الشخصية من سيطرة ونفوذ، لذا فإن فرح انطون اتبع طريق فولتير لجعل البشر متسامحين، فقد كان فرح انطون وفولتير بمثابة النهضة والإصلاح.

إنّ تأثر انطون بفلسفة التسامح عند فولتير واضح من خلال محاربته هو كذلك للخرافات والمعتقدات، لأنه " أكدّ انطون أنه يستهدف الأوهام والخزعبلات التي غرسها رجال الدّين في المجتمع، وليست هدم الدّين كما اتهموه، وأكبر هذه الأوهام و الخرافات هي ادعاؤهم الوساطة

[1]مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر رواد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد الشدياق، وفرح أنطون، مرجع سابق، ص 145.

[2]اندريه كريسون، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، تر: نهاد رضا، منشورات بحر المتوسط، منشورات عويدات، دط، بيروت، 1982، ص 143.

[3]مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر روّاد النهضة رفاعة الطهطاوي ، أحمد فارس الشدياق، وفرح انطون، مرجع سابق، ص 138.

بين الله والعباد."[1] لأنها تعد السبب الرئيسي في انتشار التعصب الدّيني، والظلم والاضطهاد لذا فإن فولتير ورواد النهضة ساهموا في هدمها، والمحافظة على القيم الإنسانية وأهمها التسامح.

ومن هنا يتبين لنا بأن هناك:[2]

1 _ وجود اتصال غير مباشر بين المفكر الفرنسي فولتير من جهة، وبين روّاد النهضة رفاعة الطهطاوي وفرح انطون، وأن هذا الاتصال جرى من خلال قراءة رواد النهضة لمؤلفات فولتير والتأثر بأفكاره، وقد أشاروا بذلك في مؤلفاتهم.

2 _ رأي رواد النهضة في التسامح أفضل الطرق والوسائل لنبذ التعصب الدّيني، والتخلص من أسباب الفرقة والخلافات التي تؤدي إلى إثارة الفتن، والحروب والتنازع بين الأديان.

3 _ الدعوة إلى تحقيق الحرية بأنواعها المختلفة: الدينية والسياسية، وحرية التعبير والتفكير، شريطة ألا تكون هذه الحرية المفرطة، و إذا تحققت الحرية فإنها تؤدي إلى إطلاق الطاقات الموجودة في المجتمع والاستفادة منها في تقدم وتطور المجتمع.

4 _ دعا روّاد النهضة إلى إقامة الدّولة على أساس المؤسسات، وإشراك جميع أبناء الوطن في هذه العملية، بغض النظر عن الدّين والجنس.

5 _ الدّعوة إلى تحقيق المساواة بين أبناء الوطن بعيدا عن المعتقد والجنس، فهذه المساواة كما يراها الروّاد من شأنها تقوية الروابط بين أبناء الوطن وبالتالي تحقيق المنافع للجميع.

6 _ دعا الروّاد إلى تحقيق العدل والأمن للمجتمع، وهما من واجبات الحكومة تجاه الشعب، ويأتي هذا العدل من خلال التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع، فبالعدل تحقق فرص التساوي بين أبناء المجتمع.

وعليه يتضح أن فولتير أتى بمجموعة من الأفكار والنظريات الفلسفية السياسية، الدّاعية للتسامح كانت بذلك قاعدة أساسية ومهمة، ارتكزّ عليها رواد النهضة الذين أتوا بنظريات

[1] مبروك موسى الحامدين، أثر فولتير في فكر روّاد النهضة رفاعة الطهطاوي، أحمد الشدياق، وفرح أنطون، مرجع سابق، ص 143.

[2] المرجع نفسه، ص ص 146، 147.

واتجاهات فلسفية تدعوا للتسامح والسلام الدائم، فولتير " قاد الحملة الفلسفية من أجل إصلاح العدالة والدولة، ومن أجل الحرية، وعلى الأخص من أجل التسامح وضد " النذل" ( الكنيسة)."[1] كانت جهوده كبيرة لتنوير العقول، والتخلص من سلطة الكنيسة آنذاك، والقيام بتسامح كوني يوّحد البشرية جمعاء.

قال **رينيه بومو:** " لقد كان فولتير، بفنه كما بفكره، ينتمي إلى الماضي بقدر ما يبشر بالمستقبل والنتاج الهائل الذي خلّفه فقد مع الزمن قدرًا من طابعه الراهن في مجرى القرن التاسع عشر، لكنه يبقى على الرغم من تفاوته، شهادة على ذهن دائم اليقظة وكان أسلوبه الراجف بالحياة يشف عن حضور عقل مثقف وصاح، وهولا يزال يعلّم الإنسانية اليوم، المختلفة كل الاختلاف عن تلك التي كتب لها، ألا تقبل بأن تخدع، وألا تحمل الأكاذيب والأوهام، ورتابة الفكر على محمل الحقائق الجوهرية."[2] ومن هذا يتضح أن فلسفة فولتير لم تكن مجرد نظرية فقط، بل أصبحت عملية أيضا، فقد طُبقت على أرض الواقع فلولا جهود فولتير، لكانت الأمم تعيش الاضطهاد الدّيني والسياسي، وجملة من الحروب الدّامية التي كانت تهتف بالمعتقدات الطائفية التي أدت إلى خسائر بشرية، فلفولتير الفضل الكبير في إنارة العقل البشري، وأصبحت فلسفته في التسامح مصدر للإنسانية والقيم الأخلاقية.

[1] جورج طرابليشي، معجم الفلاسفة( الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون)، دار الطليعة، بيروت، 2006، ط3، ص 474.

[2] مرجع نفسه، ص 474.

# خاتمة

**خاتمة:**

غالبا ما تكون الظروف البيئة والاجتماعية عاملان رئيسيان في الإنتاج الفكري لجملة من المفكرين والفلاسفة، فولتير أحد هؤلاء المفكرين الذين ساهمت الظروف في تطوير فكره، والقيام بنظريات سياسية وفلسفية، فقد حوّل فولتير تلك الظروف التي شهدها إلى نظريات واقعية كان لها الصدى الكبير، فطبقت على أرض الواقع ليست فقط في فرنسا بل تجاوزت القارة الأوروبية محدثاً بذلك ثورة فكرية تقوم على تكريس القيم النبيلة والدفاع عن الحريات الإنسانية.

تضمنت فلسفة فولتير الجانب الدّيني، لأن فولتير نادى بالتسامح الدّيني مع ضمان الحقوق الإنسانية، ويتضح ذلك من خلال مؤلفه " **رسالة في التسامح**" خاصة في مقولته الشهيرة " **إنّني أخالفك الرأي ولكني أدافع حتى الموت عن حقك في إبدائه.**"

إن فلسفة فولتير في التسامح التي قرنها بحرية العقيدة وحرية التعبير، تسعى بصدق إلى إشاعة روح وثقافة التسامح، دون أن تبقى حبيسة رفوف المكتبات، بل كانت ثورة واقعية باسم الحقوق الإنسانية والقيم الأخلاقية، حارب العنف والتعصب الدّيني والإيديولوجي المميت الذي خلق حروب دامية بين البشر، ففولتير يدافع عن مبدأ التسامح ويطالب بحرية التعبير وكذا حرية المعتقد، وأن يتعايش الناس وفقا لهذا، فكل إنسان له الحرية في معتقده وآرائه و يجب احترام ذلك لكي يتحقق التسامح، ونبذ الظلم والاضطهاد .

قام فولتير بتثبيط آراء الكنيسة التي أوْدت إلى حروب بشرية دامية، والتي قادها رجال الدّين والقساوسة باسم العداء الذي ارتكبه الكاثوليك في حق البروتستانت، خاصة الأصوليين المتعصبين الذين انتهجوا العنف كوسيلة للدّفاع عن الدّين، فقضية آل كلاس المنتمي للمذهب البروتستانتي والذي اتهم زورا بقتل ابنه، لمجرد أنه اعتنق الكاثوليكية المخالفة لمذهب عائلته وهو في حقيقة الأمر بريء تماما من هذه الجريمة الوحشية، فولتير تبنى هذه القضية ودافع عنها بإصرار لتبيان الحق ورفع الظلم عن صاحبها، حتى أنه ألف كتاب

باسم **رسالة في التسامح** وهو ثمار الفكر الفرنسي التنويري الفولتيري الذي أسس لمفهوم المواطنة وحقوق الإنسان.

إن آراء فولتير في التسامح الدّيني وحرية المعتقد وحرية الفكر، كانت بمثابة مرآة كاشفة للواقع المعاش آنذاك، ومحل إعجاب العديد من المفكرين حيث أن اسم فولتير يصف القرن 18م كله. وضع فولتير بمجموعة من أفكار والنظريات الفلسفية السياسية الدّاعية للتسامح، كانت بذلك قاعدة أساسية و مهمة ارتكزّ عليها فكره، فولتير نادى بالتسامح الكوني، فهو لا يضع حدودا للتسامح بل جعل منه تسامحاً عالمياً، يدعوا لأخوة البشر.

وفي ختام هذا البحث نستنتج بأن التسامح هو مبدأ أخلاقي، يحمل في طياته العديد من المعاني وأهمها التساهل واللين والعفو، والاعتراف بالآخر والتعايش معه مهما اختلفت معتقداته وأفكاره مع إعطاء الحرية له.

تعد إشكالية التسامح إشكالية متطرق إليها في مباحث الفلسفة، بالأخص مبحث القيم، لأن التسامح قيمة خُلقية تناولتها الفلسفة في العديد من الممارسات الإنسانية.

لذا نتطرق لجملة من النتائج أهمها:

_ دعوة الحضارات الشرقية بالتسامح وتجاوز التفرقة والعنف، وقبول الآلهة المختلفة الذي يبين لنا مقدار التسامح في بناء الحضارة المصرية، والحضارة الهندية والصينية ترفعان شعار السلم والخير وعرفتا التسامح الإيجابي الداخلي والخارجي.

_ تبيان الحضارة اليونانية لمبدأ التسامح من خلال تعظيم السفسطائيين من شأن الإنسان وجعله محور فلسفتهم ودعوتهم للتسامح عن طريق الحرية الفكرية. ودعوة سقراط للخير والعدل وكذا أفلاطون وأرسطو لبناء مدينة فاضلة ومتسامحة.

_ تأسيس وتنظير الفلسفة المسيحية لمبدأ التسامح، للتخلص من الانحلال الأخلاقي.

_ إن التسامح الدّيني قيمة إيجابية في الحضارة الإسلامية، دليل ذلك قوله تعالى:« لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينْ قَدْ تَبيّنَ الرُشدُ مِنَ الغَيِ » سورة البقرة– الآية 256.

_ في العصر الحديث، ربط لوك التسامح بالحقوق الطبيعية للإنسان، وتبيان التسامح الحقيقي عند بير بايل ودوره في تكوين فكر فولتير.

_ إن زيادة وعي الإنسان بحقوقه المسلوبة مهد للبحث عن حلول، للقضاء على صراع الطوائف الدينية، فكان التسامح هو الطريق المفتوح لإصلاح تلك الأوضاع، فكانت مرافعة فولتير في كتابه " رسالة في التسامح" مرافعة تاريخية من أجل التسامح والسلام.

_ كان فولتير نجما متلألئا على سماء الشهرة، وهو الفيلسوف الفرنسي الذي قدّم حياته في سبيل إثراء الفكر الفلسفي، فلم يكد يودع هذا العالم حتى قامت جهوده المنظمة والتي هي مستمرة حتى اليوم بكتاباته الثمينة، فقد تبلور مفهوم التسامح عنده من خلال عاملين رئيسين ألا وهما محاربته للتعصب والدّين الزائف الذي خلق الكراهية والعنف، وتبنيه لمبدأ التسامح وهو مبدأ نبيل الذي كان منشأه قضية آل كلاس التي تعرضت للظلم والعنف، فولتير كان بمثابة اليد اليمنى لهاته العائلة، وبمثابة الريشة البيضاء التي كتبت للتسامح والسلام، وجعلها خطاباً ورسالةً عالمية حيث أن التسامح الذي تحدث عنه فولتير، هو التساهل والعفو والتآخي واحترام الرأي الآخر وتقبله، مع إعطاء الحرية الفكرية والعقائدية، وجعل من هذا التسامح تسامح كوني يتخطى الحدود الفرنسية لكي يتحقق السلام الدائم والأمن والآمان.

_ إن آراء فولتير في التسامح لم تبقى حبيسة الرفوف ولم تكن نظرية فقط، بل أضحت عملية فاقت التراب الفرنسي لتصل لمنظمات العالمية كمنظمة اليونسكو وكذا فلاسفة عرب أمثال رفاعة الطهطاوي وفرح انطون، اتخذوا جُلَ فلسفة فولتير وطبقوها على بلادهم، وذلك من أجل التغير والإصلاح.

إنما يشهده العالم الآن عامة والعربي خاصة من حروب طائفية كالتي في اليمن والعراق ولبنان وغيرها من الدول، والتي أدت بشكل مباشر في زرع الرعب والخوف ومن ثم الهجرة للبحث عن جو يسوده الأمن والسلام، والأهم من هذا التسامح الذي دعا إليه فيلسوفنا فولتير فأين هي أفكار فولتير من هذا الوضع المعاش؟ وهل يمكننا إعادة النظر في فلسفته وتنظيره عن التسامح من أجل الخروج من هذه الأزمة الدموية كالتي عاشتها أوروبا في عصور

مضت؟ وإلى أي مدى يمكننا أن نتوقع نجاح فكره الغربي في العصر الحديث، في المجتمع العربي في الوقت الحاضر؟.

# قائمة

# المصادر والمراجع

**القرآن الكريم.**

**المصادر:**

1_ فولتير، رسالة في التسامح،تر:هنريت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2009.

2_ فولتير، كانديد والتفاؤل، تر:أنا ماريا شقير، دار ومكتبة الهلال، بيروت،ط1، 2005.

3_فولتير، القاموس الفلسفي،تر:يوسف نبيل، مؤسسة هنداوي، مملكة المتحدة، دط،2016.

4_ فولتير، رسائل فلسفية، تر:عادل زعتر، دار التنوير للطباعة والنشر،لبنان، ط1، 2014.

**المراجع:**

1_ أحمد علي عجيبة، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مطابع الشناوي، طنطا، ط1، 1993.

2_ أفلاطون،في السفسطائيين والتربية(محاورة "بروتاجوراس")،تر:عزت قرني،دار قباء لطباعة والنشر،القاهرة، دط، 2001.

3_ السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، دب،دط،2000.

4_ اندريه كريستون، فولتير حياته- أثاره- فلسفته، تر: مصباح محي الدّين، منشورات هويدات، بيروت، دط، دس.

5_حسن الحنفي، قاموس الفلسفي،دط،دب،دس.

6_ جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، مؤسسة الهنداوي للنشر،دب، دط،1945.

7_ جون لوك ، رسالة في التسامح، تر: منى أبو سنه، مجلس الأعلى للثقافة،مصر،ط1، 1997.

8_ خديجة زتيلي، الفلسفة المعاصرة قضايا وإشكاليات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1435-2014.

9_سعيد حبيب، أعلام الفكر الفرنسي، دار الشرق والغرب للنشر، القاهرة، دط، 1950.

10_ رفاعة الطهطاوي، تلخيص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2012.

11_سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن الحنفي، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 2005.

12_سمير الخليل وآخرون، التسامح بين الشرق والغرب دراسات في التعايش والقبول بالآخر،تر: إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، ط1، 1992.

13_سمير أبو حمدان، موسوعة عصر النهضة- فرح أنطون صعود الخطاب العلماني، دار الكتاب العالمي،بيروت، دط، 1992.

14_عبد القادر تومي، وجوه الفلسفة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والإشهار، دب، دط، 2009.

15_عبد الحميد درويش، الفلسفة في مصر القديمة من أمحوت بالي أخناتون،مكتبة وهيبة ، القاهرة، ط1، 2015.

16_ فرح أنطون، أورشليم الجديدة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2013.

17_ ف فلغين،فلسفة الأنوار،تر: هنرييت عبودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2006.

18_ كمال طربشي،فلسفة الاختلاف والتسامح، مؤسسة مؤمنون بلا حدود،قسم الدراسات الدينية، 2015.

19_ كامل عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

20_ لوتسو، الطريق إلى الفضيلة، تر:علاء الذيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب،دط،1998.

21_ليود سبنسر أندرزيجي كروز،عصر التنوير،تر:إمام عبد الفتاح إمام، مجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005.

22_مبروك موسى الحمادين، أثر فولتير في فكر رواد النهضة "رفاعة الطهطاوي،أحمد فارس الشدياق، وفرح أنطون"، رسالة في الماجستير في الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة،الأردن، 2007.

23_محمد حسن، تيارات الفلسفة الشرقية، دار علاء الدّين، دمشق،دط،1999.

24_محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،ط1، 1997.

25_ مسدوة وهيبة، خطاب التسامح في فكر الأنوار، مذكرة شهادة الماجستير، جامعة السانية، وهران، 2010-2011.

26_مايكل أنجلوكوباتشي، أعداء الحوار وأسباب اللاتسامح ومظاهره،تر:عبد الفتاح حسن، هيئة مصرية العامة للكتاب، قاهرة، دط، 2010.

27_هاشم صالح، الحرية الدينية في الفكر الأوروبي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود لدراسات والأبحاث، الرباط، دس.

28_هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

29_ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي- حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم، تر: فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988.

30_يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، دط، 2012.

31_ إيه سي جرايلينج، براتراند راسل– مقدمة صغيرة جدا، تر: إيمان جمال الدّين الفرماوي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، مصر، ط1، 2014.

**المجلات:**

1_ عارف عادل مرشد، ملامح الفكر السياسي عند فولتير، جامعة الزرقاء، فيلادلفيا الثقافية، الأردن، 2010.

**المؤتمرات:**

1_علاء الدّين زكي، التسامح الدّيني في الحضارة الإسلامية" الأديب أبو إسحاق الصابي(ت 384هـ)،أنموذجا " ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الدولي الثاني، حوار الحضارات والثقافات، 2010.

2_محمود مراد، المصادر السفسطائية اليونانية لحقوق الإنسان، أبحاث في المؤتمر الدّولي الثاني لقسم الفلسفة( الفلسفة وحقوق الإنسان)، المجلس الأعلى للثقافة، الأردن، 2010.

**المعاجم والقواميس:**

1_ إبراهيم مذكور،المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة،دط،1983.

2_ أبي الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن المنظور الإفريقي المصري، لسان العرب،دار صادر، بيروت،دط،دس.

3_جميل صليبا، المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،ج1، دط،1982.

4_ جورج طرابليشي، معجم الفلاسفة( الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون–اللاهوتيون– المتصوفون)،دار الطليعة، بيروت،ط3، 2006.

5_ عبد المنعم الحنفي، المعجم الفلسفي، دار ابن زيدون للطباعة و النشر، لبنان،دط،1992.

6_ محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت،دط،1986.

7_مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،دط، 2007.

8_سهيل-إدريس، المنهل فرنسي-عربي، دار الآداب، بيروت،ط42، 2010.

**الموسوعات:**

1_أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية،تر: أحمد خليل، منشورات عويدات،م1، بيروت،ط2، 2002.

**المقالات:**

1_أحمد عمر، فرانسوا ماريه اوريه-كانديد، (10أكتوبر2005)، https://www albyan .ar،(2020-05-31)،10:31.

2_ براتراند راسل، عدو الحرب نصير السلام،(1مارس2008)،.https://alittihad.ar،03-07-2020، 15:20.

3_ خالص جلبي،شبكة فولتير،(23تشرين الثاني"نوفمبر"2005)، https://www voltairenet-org،04-05-2020، 14:04.

4_عدّي الزعبي، براتراند رسل في الحرية والدّين والعقلانية،(7كانون الأول2015)،.https://www aljumhuriya .nte،03-07-2020، 15:12.

5_ عمران عبد الله، تحفظ عليها سقراط وأربكت كانط وهيجل هل حذر الفلاسفة الثورات أم نظروا إليها،(23-10-2019)،https://www aljazeera.net، (14-06-2020)، 12:19.

6_ عائشة بليلط، التسامح عند فولتير،(01-08-2019)،https://ar.lesteimfo،(26-04-2020)، 10:37.

7_فؤاد أبو منصور، أودري أزولاي،( 5مارس2019)، https:// alarab.co .uk،(26أوت2020)،08:53.

8_ محمد علوش، من مقتضيات التسامح السياسي،(16حزيران 2017)، https://www almyadeen.net، (2020-06-02)، 18:20

10_ مشرف بك أشرف، مدخل شامل ومترجم من موسوعة ستانفورد للفلسفة، (17حزيران2017)،https://www hekmah.arg، (2020-03-13)، 10:13

9_ https://www-voltairenet-org/articl131426.htnl،(05-04-2020)،12:49.

# الملخص

**الملخص:**

فرانسوا ماري أوريه الشهير باسم " فولتير"، فيلسوف عصر التنوير ومحرّر العقول البشرية من سيطرة الكنيسة، والمدافع الأكبر عن مبدأ " التسامح الدّيني" وكذا حرية الرأي والتعبير، وهو من أهم الكتاب الذين عرفتهم فرنسا في هذا العصر، طالبة بالسلام والتسامح الكوّني، ليعيش الكاثوليك والبروتستانت والمسلمين متسامحين، وذلك عن طريق إخماد الحروب الدّينية وأن تعيش كل الأديان والمذاهب بسلام وآمان تحت رعاية الدولة، وهذا ما ميّز فولتير عن غيره.

**الكلمات المفتاحية :** . ( 06 كلمات )

التسامح- التسامح الدّيني-المعتقد- التعصب- الكاثوليك- البروتستانت.

**Abstract**

François-Marie famous of by the Name « voltaire » the philosopher of Enlightenment and of the human mind frome the domination of the Church, and the defender of the largest « the principle of religious tolerance » as well as freedom of opinion and expression. Which is of the Most important writers who known in That era in France. He demand cosmic peace and tolerance, to Catholics and Protestants, Muslims and tolerant, So by putting out religious and to appoint all religions and sects peacefully and securely Under the care of the state .Thèses why distinguished Voltaire frome others.

**Keywords :** Tolerance- Religious tolerance- Belief-Intolerance- Catholics- Protestants.